للبحر حالات

رواية

عبد الفتاح مرسي

شكر وتقدير
لنائب الرمل بمجلس الشعب
المحترم/سامى الجندى
لمساهمته الفعالة فى إصدار
هذه الراوية

رواية/للبحر حالات

المؤلف/عبد الفتاح مرسى

الطبعة الأولى

دفقات للنشر

ت: ٠٣/٥٤٨٨١٥٢

تحت رعاية الجمعية

المصرية للتكوين المعرفى

بالإسكندرية

لوحة الغلاف

(الخبز والحب والأحلام)

للروسى خانشين ١٩٦٤م

رقم الإيداع

17928 /2005م

الإهداء :

الي "المحامي" الصعلوك الذي نصبناه قمعا للشلة!

فحاولوا دائما أن يجعلوه مقموعاً..

لكنه كان يضرب الدنيا "صرمة"

فكانت الدنيا تضربه ألف صرمة.. ولايرتدع

لم نكن نملك حياله إلا أن نواسيه بقلوبنا..

حتي يستمر بيننا لأطول فترة ممكنة.. قمعا

لعله يعطي لحياتنا معني!

(١)
وقوف لتأكيد الجلوس!

..تعرفت على "فتح الله عبده فتح الله" عندما كان يقـــف كتمثال على رصيف مقهى "البنور" التى تطل أبوابها الرئيســـية على سور الميناء الشرقى الأثرى، سور قديم من حجارة مزلطة أغلق الزمن مسامها،فلمع سطحها لمعة الرخام.. فتح الله كـــان يقف علـــى طـرف رصيـف المقهـــى المرصـــوص بالمقـــاعد والترابيزات.. فى ذلك الفصل الخريفى،الذى يتهيأ لإستقبال نوات المدينة الممطرة

"يظن البعض أن معظم أهل الإســكندرية يحملـــون فـــى جيوبهم جداولاً بمواعيد النوات وأسماءها وطولهـــا.. إن كـــانت مطيرة، أو ثلجية، أو مجرد زعابيب، لكون فتح الله يفعل ذلك.. لكن ليس كل ما يظنه الناس حقيقى.. مـــع أن إحـــدى المطـــابع بالإسكندرية توزع هذه الجداول كإمساكية لشهر رمضان... لكنى لم أشاهد أحداً يحتفظ بهذا الجدول إلا "فتح الله"

ومن المعروف أن من يذهب إلى "المقهـــى" أى مقهـــى سيجلس على مقاعدها المتناثرة فى ساحتها، أو خارجها، ولـــن يقف هكذا مجمداً مثل فتح الله عبده فتح الله.. ولا يدرى أحـــد منذ متى يقف فتح الله على رصيف المقهى.. والثابت أنه واقف اليوم ومنذ الصباح الباكر..

والدنيا يا دوب كانت تقول : يا صبح!

وبائع الجرائد الممصوص خفيف الحركة يوزع ما معه من جرائد، ينادى على أسمائها -يخص بالنداء- بجانب الصحف القومية الثلاث صحيفة الوفد فقط.

"بائع الصحف" يدخل المقهى مسرعا وبيده ثلاث جرائد متنوعة، ليس من بينها جريدة الوفد -يتركها- ويخرج من المقهى بنفس الخفة، وهو يجهز جرائد أخرى من جرابه الذى تحت أبطه.. يمر بجانب فتح الله.. وكأن فتح الله ليس له وجود !

والصبح لم يزل نعسانا يتثاءب. وكأن الصبح صار صعلوكاً ليس له بيتاً.. ينام على ترابيزات المقهى صباحى.. صبحاً يتيماً مثل فتح الله، ليس له أم تضفى عليه شيئاً من حنية الأمهات "أم" إذا ما الفجر إنشق من سواد الليل، تفتح له الراديو، كى يفيق على برامج الصباح الإذاعية -طلعت يا محلى نورها شمس الشموسة- ورياضة واحد إثنين.. ثنى فرد.. والدعوات.. والنصائح المفيدة للسائقين!
ترافقها موسيقا الصباح المبهجة "تلهيه" حتى تجهز له الإفطار..

..الصبح كان مثل "فتح الله" منكمشاً ويشعر بالغربة الشديدة أمام المدينة الساحلية، والتى كانت برغم حلول الخريف لم تزل مكتظة بالغرباء..

صبح ينفتح على النهار تدريجياً، ويلف المدينة مثل فتح الله.. الذى يتجول فى المدينة كسائح.. يسمع حكاوى الناس، بنفس دهشة ابن بطوطة.. الذى عبر بالمدينة يوماً ولم يقتنى شيئاً لا يستطيع حمله ووضعه فى خرجه!

وأصدقاء فتح الله يعلمون بأن أعمام فتح الله، يلحون عليه بالزواج والإستقرار، ذلك منذ وصل إلى عامه السابع والعشرين.. يدفعونه ليتزوج وليشغل شقة المرحومين أمه وأبيه.. شقة ليست أقل من ستين متراً،تقع فى الزقاق الضيق خلف الكنيسة الإنجيلية.

الشقة مزدحمة بالأثاث الذى لا قيمة كبيرة له.. وفتح الله منذ زمن بعيد، يبحث سراً عن تلك التى لها ملامح أمه، حتى يشير إليها ويطلب المساعدة فى الزواج منها.. قد يجد

ملمحا -واحداً- كان لأمه.. وثمة ملامح متناثرة هنا وهناك فى عدد من الفتيات والنساء.. لكنه لا يجد أمه كاملة.. كما أن فتح الله ليس لديه الإمكانيات ليتزوج من صاحبات الملامح جميعهن ليشكل من مجموعتهن "أمه".. تلك المرأة الحنون.. التى تركتــــه وهو فى سن التاسعة والنصف.. ورحلت بعد والده الـــذى كـــان يشقى فى عمله بالميناء.. رحلت عقب وفاة والده بعام واحد!

وفتح الله غضب غضبا شديداً من خاله عبد الهـــادى إذ قال له خاله فى ضيق:

- مشكلتك يا فتح الله يا إبنى، إن أمك رحلت وأنت فى التاسعة، تستقبل منها ذروة الحنان المتدفق.. لو عاشـــت أمــك بضع سنين أخرى لانتقلت أنت طبيعياً من دفق حنانها إلى وصال مؤثر مع الأتراب والزملاء.. ولم تعد مشغولاً بها.. مـــاذا كـــانت أمك؟ كانت إمرأة أنانية مثارة دائماً، تبحث عما يعكر صفو الحياة الزوجية.. هى التى قصفت عمر أبيك، ثم لحقت به.. هى شقيقتى لكنى أقول الحق ورزقى على الله!!

وإذا ما فكر فتح الله فى الأمر ملياً.. أمكنـــه أن ينتقـــل تدريجياً إلى صداقات متنوعة -ويصادقنى- كما أمكنه أن يكتـــب القصص المدهشة الزاخرة بالملائكة والشياطين، ويجـــد واحـــداً مثلى يتسم بالطيبة الشديدة يعجب به "وبهــــا" ويتقـــدم تلقائيـــاً ويشاركه الوقوف على رصيف المقهى، ويتحمل زجر ونصــــائح عم عبد العزيز الجرسون، وتعليقـــات العيـــال الحبيبـــة الذيـــن يرتادون المقهى ليل نهار، ولا تتحمل ميزانياتهم الهزيلة، ثمـــن مشاريب الكازينوهات التى تتناثر على طول شارع الكورنيـــش.. فيزحمون مقهى "البنور" فى الشتاء والصيف.. يشربون الواحـــد قهوة على الريحة وعليه يجلسون بالساعات.. يدخنون السجائر الفرط على طريقة التخميس!

وفتح الله الأسمر فطيس، الذى لا يغضب إذا ما ســـمع أحدهم يصفه بالبربريكو -عندما وجد "عبد الفتـــاح" قـــد وقـــف

بجانبه أكثر من ثلاث ساعات، مشاركه تلقائيا فى وقفتـــه علـــى رصيف المقهى، من يراهما يظنهما يلعبان اليوجا على الواقف. بعد أقل من يوم واحد إبتسم فتح الله. ثم تحولت إبتسامته إلـــى ضحكة بصوت يقهقه وتحرك نحو أحد المقاعد وجلس، ثم ربـت على المقعد الذى يجاور مقعده وقال فى حنو بالغ:

-أقعد يا عبدو.. المقهى وجد للجلوس وليس للوقوف.. واقف عندك كده ليه؟!

قال عبدو فى نفسه، هل كان فتح الله ينتظـــر صديقـاً يشاركه شذوذه حتى يفعل المعتاد؟!

قال ذلك فى نفسه وهـــو ظاهريـــا يبتســم فـــى حــرج ليعالج مسألة"كيف صار هو "الشاذ" فى نظر فتح اللـــه.. الـذى يعرف الجميع أنه يفضل الوقوف على المقهى وليس الجلـــوس عليها..! "

ومنذ ذلك الوقت تعلم عبد الفتاح الدرس الأول..

أن لا يقلد أحداً إلا عن قناعة وتفكير.. وإذ تحير بمـــاذا يجيـب على فتح الله.. عاد فتح الله يسأله:

- كنت واقف عندك كده ليه يا عبدو؟

قال عبد الفتاح فى هدوء:

- مزاجى كده.

وكأن فتح الله ينتظر هذا الرد بالذات ليرحب بعبد الفتاح ويعتبره صديقه الحميم!!

(٢)
خبرة قرص الزهر

□الشاب الاسمر غامق المدعو "فتح الله عبده فتـــح اللــه" المحامى، والذى لا يغضب ولا يعاتب إذا ما سمع أحدهم يلقبـــه بالبربريكو، يضحك فيضاء وجهه بألف مصباح فلورســـنت، وكـل الذين يحيطون به، ويلتفون حول ترابيزته، يرونه طيبـا جـداً.. وقلبه مفتوح لكل الناس.. وساعات يكون طفلاً محتاجاً لكثير من الحنان حتى يكف عن البكاء!

فتح الله، يوماتى، يكون مشغولاً بعدد من الأصحــاب.. معظمهم شباب يا دوب فوق العشرين.. واعتاد أن يصب إهتماماً خاصاً على "اليتامى" الذين رحلت عنهـــم أمهــاتهم وهـم دون العاشرة..

قيل أن فتح الله مكث خمسة عشر عاماً ينتظـر واقفـاً على الأرصفة.. لا يتحرك إلا لإحضار الكتــب مــن المكتبـات.. يقرأها، ويعيدها الى مكانها بكل احترام.. وساعات يكون مشغولاً بتجليد هذه الكتب إذا كانت تخصه، أو تخص أحد أفراد شلته، لــذا فقد إمتحن سنوات النقل "وليسانس الحقوق" وهو واقف زنهار.. فلم يرسب فى مادة من مواد السنوات الأربع.. لكن ما جعلــه لا يتفوق ولا يحصل على التقدير الذى يستحقه، أنــه منــذ أيـام الثانوى يقرأ فى كتب متنوعة، ودماغه مشــغول بــالفن والأدب والإقتصاد والتاريخ. وكتب القانون التى كان يدرسها.. كان يعدل فيها كما يجب أن تكون، وفى الإجابات كان يذكر رأيه بعــد كـل إجابة.. وهذا غير مطلوب إلا فى كلية الآداب.. ولما قالوا له:

- انت نجحت يا فتح الله وحصلت على ليسانس الحقوق..

سأل فى دهشة:

- الحقوق..؟!

رد عليه المسئول:

- طبعا الحقوق.. وهل كنت تظن أنك تدرس فى الآداب؟!

•• وقد صار فتح الله البربريكو محامياً فى مكتب الأستاذ راغب راغب المحامى.. مكتب لا يتعامل إلا مع أصحاب المال الأثرياء، ورجال الأعمال الجدد.. صاحب المكتب الأستاذ راغب، حاذق، ويتعامل مع عملاء ليس لهم فى الدنيا من هدف إلا مضاعفة ثرواتهم.. وأمثال هؤلاء يكونون حساسين جداً وقلقين للغاية.. لذا فإن صدر الأستاذ راغب راغب دائماً ما يتسع للمساومات الطويلة.. فهو قد يمضى عدة أسابيع فى مفاوضات لشراء مصنع قديم... أوقطعة أرض فى وسط المدينة، يتشابك الورثة فيها كاللغز.. والمصنع المرجو شراءه، قد يكون من المصانع التى تخسر.. لكن أهمية تلك المصانع ذات الإسم، والماركة القديمة، تكون شديدة عند عملاء الأستاذ راغب راغب.. لإمكان إستخدامهم للمصنع القديم "عكازاً"يساعدهم على تخطى فقرات فى القانون" فقرات تبدو كنمر شرس، ويمكن بشئ من الحيلة القانونية جعلها قط سيامى، تلك الفقرات التى تبرز السؤال الخطير بداخل إطار الحقوق الوطنية: "من أين لك هذا؟!" فتتضمن الاجابة.. "تلك المصانع وملكيتها".. مع عدد كبير من اللافتات والإعلانات عن البسكويت التافه الذى لا يشتريه أحد ، أو الكريمات غير الطبية التى لا تنفع ولا تضر .. أو حتى أنواع من الباستيليا والنعناع والنوجا.. منتج مصحوب بضجة إعلانية هائلة.. يبروز إسم صاحب المصنع، أكبر مائة مرة من المنتج ذاته!

وإذا ما تم غسل تلك الأموال بدفع بعض الضرائب على مكاسب دفترية، يمكن أن تتمخطر باقى الأموال فى بدلة التشريفة الشرفية التى تجعلها تمر هانئة، وتنتقل سالمة، إلى الجانب

المشروع، بعيداً عن شبهة "البيور، المخدرات، وتجارة السلاح. أو حتى القيام بأدوار إجتماعية معينة، والإشتراك فى مؤامرات مازالت تدخل تحت بند التجسس، والتخابر، مع دول أجنبية". قضايا تستيقظ حسب الطلب،لكن لا أحد فى هذه الأيام صار يعيرها إلتفاتاً..!

والشاب الأسمر النحيف فتح الله.. فتح قلبه للشاب القمحى التخين شوية.. عبد الفتاح .. وإستمع عبد الفتاح إلى فضفضة فتح الله.. وكان عبد الفتاح يهز رأسه ويتنصت مستغرقاً، وقد إستمر كلام فتح الله.. وسكوت عبد الفتاح أكثر من ساعتين، حتى أن فتح الله لم يجد شيئاً بداخله لينفثه.. هدأ وهمد وقال:

- آدى كل الحكاية.. فما رأيك يا عبدو؟

حاول عبدو،حتى آخر لحظة، أن يكون منتبهاً لما أفضى به إليه فتح الله.. وبالرغم من السرحات والإغفاءات وحالات التوهان التى تخللت ذهن عبدو، فقد إدعى بأنه "خلاص فهم كل ما عند فتح الله"

والآن وهو يبتسم تلك الإبتسامة الغامضة، يوهم فتح الله بأنه يبحث فى ذهنه عن حل ناجز لمشكلة فتح الله المحامى الذى ليس له مكتب خاص به.

عاد فتح الله يحثه مكرراً كلمة:

- ما رأيك؟!

عبدو وجد نفسه يسأل فتح الله:

- كم يعطيك هذا المحامى الداهية.. من أجر؟

أجاب فتح الله وهو يرفع كتفيه ويخفض بينهما رأسه

- عادى!

زالت إبتسامة عبدو وهو يتصنع الجدية وسأل:

- عادى.. عادى؟!

قلب فتح الله يديه ومط شفتيه وقال:

-كما أى محامى مبتدئ فى مكتب كبير.. أعتمد أساسا على نفحات الموكلين.. المرتب الأساسى كما مرتب الموظفين الجدد.. ومنذ تفاقمت مشكلة البطالة.. كف الأستاذ عن منحنا العلاوة الدورية.

قال عبدو:

- يعنى قوت لتموت؟

- حاجة زى كدة!

- وطبعاً وهو يكسب الألوف؟

- قل مئات الألوف.. لقد رفعوه إلى مصافهم بعد أن خبر أسرارهم.. صار مليونيراً..

أشعل عبدو سيجارة.. وإنشغل عن فتح الله.. حتى أن فتح الله جذب إنتباهه إليه بيده.. ثم سأله:

- لم تقل لى رأيك؟

إستعبط عبدو وهو يقول:

- عن أى شئ أقول رأيى يا توحة.. أنا شايف إنك غير طموح، ولا ترغب أن تكون كما الأستاذ راغب المحامى.. وفى الوقت نفسه تشكو.. وتنتظر أن أضع أمامك منصة من الأخلاق وأصعد بك فوقها.. والحل بيدك يا عزيزى.. إذا كنت تريد مالاً.. إلهف عميلاً من أستاذك.. وإذا كنت تفضل الناحية الأخرى.. إفضحه.. وإفضحهم!

غمغم فتح الله بعد تفكير قصير:

- يعنى أناضل..؟!

لم يجب عبدو على ذلك السؤال الخطير..

•• مع أن فتح الله المحامى.. كان قد جمع ملامح وجهه فى مساحة قليلة منه.. فى محاولة لفك ما إستغلق عليه من ردود عبدو.. إلا أنه كان يهز رأسه بما يفهم منه أن حواراً آخر كان يدور بداخل ذهنه، وعبدو عقد له المسألة، عندما وضعه وجهاً لوجه أمام مجتمع رجال الأعمال، موحياً إليه بالنضال، والكفاح،

وتلك الأشياء القديمة التى بدت فى زمننا الحاضر غير مجدية وعدد غير قليل من رجال الأعمال ليس له فى الأعمال، فقط يتقنون فن الإلتفاف، ورد الصاع صاعين.. فالمسنودين بأصحاب النفوذ.. من المستحيل فرزهم وتحديدهم حتى يمكن تجنبهم!

•• فى نهاية الشهر التالى "فيما يبدو" كان فتح الله قد أمعن التفكير فى القرار النهائى، إذ لاحظ عبد الفتاح بأن المحامى الشاب قد صار متفرغاً للجلوس فى مقهى "البنور" التى تطل على الميناء الشرقية.. وأيام الشتاء عندما تخف الحركة فى المدينة الساحلية ويغادرها المصطافون، يدور فتح الله مع حركة الشمس من مكان إلى مكان، حتى استقر نهائياً على الترابيزة التى تقع خلف العمود الغليظ الذى يواجه الباب..

إذ يمكنه هناك أن يختفى تماماً خلف العمود فيكتب أو يقرا.. ويمكنه إذا شاء، أن يحرك المقعد قليلاً فيشاهد شارع الكورنيش، والسيارات المارة، وقطاع من الذين يفضلون الجلوس على الرصيف، وليس بداخل المقهى- لدواعى البصبصة على النسوان، والتطلع إلى السائحات!

وعبدو.. شعر بالذنب.. وكأنه هو الذى دفع فتح الله بأن يترك مكتب الأستاذ راغب المحامى وينضم إلى جيش العاطلين من حملة المؤهلات العليا، حاول أن يصحح ما يظن أنه أفسده..

كان على عبدو أن يمضى معظم وقته فى صحبة فتح الله، هذا أقل ما يجب تقديمه، يستمع إليه، ويسليه، والكلام يأتى بالكلام، ويكشف الجوانب المستورة..

وفتح الله لديه الشقة بإيجار زهيد.. ولم يعدم وسيلة يأتى بها بمصاريفه الشخصية.. رأى عبدو، والذى تزوج منذ تخطاه الجيش، بأن زواج فتح الله سيكون باعثاً على إستقراره.. ولم يكن المطلوب من عبدو إلا أن يجعل فتح الله،

يصرف النظر عن عمليات البحث فى ملامح أمة.. والبنات الحبيبة بالمقهى لديهن شقيقات وأقارب غير حبيبة.. يبحثن عن زوج "وخلاص".

والبنت نادية رفيقة صديقه هانى عبد المتعال.. رشحت فتح الله لأختها الكبيرة نوسة.. كان هانى عبد المتعال قد حدثها عن ظروف فتح الله "الملخبطة".. وأختها نوسة كانت متعوسة، رابع عريس يأتى لها ويهرب قبيل الزفاف..

عبدو نصح فتح الله أن يشاهد العروس ويعاينها وأن يفحصها جيداً.. أى يستلم عروسة على الفرازة.. فإن هروب عريس واحد قد يكون الخطأ لديه.. أما هروب أربعة، فمن المؤكد أن هناك عيباً عند نوسة!!

وبالفحص والمعاينة.. وجد فتح الله أن نوسة كانت متعوسة بأمها وأبيها وتصرفاتهما الفضيحة.. نوسة جميلة، ومثيرة، وبنت إسكندرانية فرعة، تدير الرؤوس..

لكن والديها يعتبران العريس هو الشارى، وهما البائعان يبيعان لأعلى سعر.. ولابد من أن يبدأ البائع من القمة ويستموت على كل محطة نزول..

وفتح الله لا يتقن فنّ المساومات.

كنا قد دفعنا بفتح الله دفعاً للقاء نوسة.. ثم إندفع فتح الله ذاتياً معضداً بالشقة التى فى حوزته، ولكنه رسب فى أول محطات الفصال، والمساومات مع أهلها.

وحصل على رقم "العريس الخامس" وعاد يلوذ بالمقهى.. يقرأ الكتب، ويكتب القصص المدهشة..

وبمرور الوقت صار فتح الله حريفاً. ومكتسباً لخبرة لعب الطاولة.. وقرص الزهر!

(٣)

غياب لإثبات الحضور

"..لا يمكن.. مستحيل.. أن يكون هو الفراغ الذى فجــــر موهبة فتح الله المحامى ليكتب القصص.. وينكب علـــى قــراءة الروايات، وكتب الأدب، فى المقهى..

ومعروف بأن لعب الطاولة يؤدى إلى مزيد مـــن لعــب الطاولة، أو التوسع فى لعب الدومينو.. لكن أن يؤدى ذلك إلـــى ظهور موهبة الإبداع، فتلك معجزة فتح الله الخاصة.. وقد صار صديقا حميماً، لنا ولجرسونات المقهى، الذى "يتعشم" فيهم كثيراً ولا يشغل باله، كم يكون فى جيبه من نقود.. إذا ما شرع وجلس على ترابيزته، يخفت الجرسونات أصواتهم الملعلعة،وينخفـــض صوت الراديو والتلفزيون، خاصة إذا كان فتح الله مندمجاً فـــى الكتابة، يفيق فتح الله على قرصـــات الجـــوع، يستســـمح عـــم عبد العزيز بأن يأتيه بسندوتش فول، أو شقة طعمية.. لكن عـــم عبد العزيز يرسل من يشترى له سندوتشات الكبـــدة والكفتـــة.. يقدمها له وهو يقول:

- تغيير يا أستاذ.. الفول يوجع المصارين.. كثرته خطر على الدماغ.. وأنا شايف إنك بدأت تعتمد على دماغك!

لذا فإن أى "مشوار" يطلبه فيه الجرسونات، بأن يرافـــق قريب لهم إلى النيابة.. أو إلى قسم الشرطة، بصفته محامياً، كان فتح الله يؤديه، وهو فى غاية الإنتشاء.. ولا يسأل عن الأتعاب!

والجرسونات -خاصة عم عبد العزيز- إعتبروا فتح الله المحامى "صاحبهم" وعم عبد العزيز الذى يقيـــم بشـــارع النيـــل بكرموز، راح يردد إسمه فى الحوارى المتفرعه من شارع النيل

الذى يفضى إلى ترعة المحمودية، بـــان صاحبـــه فتـــح اللـــه المحامى "حريف" إذا ما ذهب مع أى شخص إلى قسم البوليـــس.
هناك يعمل له الضباط ألف حساب.. ولا يستطيع أشرسها ضابط مباحث، أن يضع يده على قفا المتهم.

والدعاية أثمرت.. وأتت لفتح الله بالقضايا الصغـــيرة، من الجنح والمخالفات، ثم كبرت، وتعددت، حتى صار لديه عددا من قضايا الجنايات.. مخدرات، وإســتيلاء علـــى مـــال عـــام.. وتزوير وسرقة أدوية من عيادات التأمين الصحـــى.. وجميعهـــا قضايا يأتى بهـــا إليـــه أصحابـــه الجرســـونات، وأهمهـــم عـــم عبد العزيز.. الذى فى عمر والده ..

•• لم يكن "فتح الله" يدقق فى الأتعاب.. اهم شئ، الرسوم.. لكن الجرسونات "خاصة عـــم عبـــد العزيـــز" كـــانوا يقومـــون بالمساومات مع الزبائن، ويأتون إليه بالأتعاب، فيقتطـــع منهـــا جزءاً ويدسه لهم فى جيب المريولة الأمامى.. قد يتمنعون قليلاً.. لكنهم يقرنون ذلك التمنع بالشكر العميق، وبأن لديهـــم زبـــائن "سقع" فى الطريق!

والترابيزة التى تتوارى خلف العمود العريـــض الواقـــع أمام الباب الرئيسى لمقهى البنور.. كانت مستقرا للأستاذ فتـــح الله، يكتب عليها المذكرات والدفوع.. وأحيانـــا يكتـــب عليهـــا القصص.. وفـــى معظـــم الأحيـــان يلتقـــى حولهـــا بالأصدقـــاء والأصحاب.. حتى صار هذا الركن يعرف بركن؛
"شلة الأستاذ فتح الله المحامى"

•• ولما كانت نوسة القمحية الجميلة -قد صعب عليهـــا أن يهرب العريس الخامس منهزماً أمام غتاتة أهلهـــا وأنانيتهمـــا- والدفع بالشروط المزعنة التى يعمل والديهـــا علـــى التحصـــن خلفها. وقد ثبت لها بأن لدى فتح الله المحامى "شـــقة" مكدســـة بالأثاثات، لا ينقصها إلا أن ترتبها بذوقها.. فقد رغبت "نوســـة"

فى تجميد الموقف قليلاً حتى يمكنها إجـــراء مفاوضـــات مـــع والديها -أتت إلى فتح الله فى مقهى البنور- لما عرف غرضها ابتهج قال لها:

- قطمة أفضل من نحته!

وقـــال:

- إنت تقريباً يا نوسة من عمـــرى.. يعنـــى رشـــيدة وتقـــدرى تتصرفى من نفسك.. قومى نكتب الكتاب ونطى الجواب ونضـــع أهلك أمام الأمر الواقع

وإنتظر أن تقول نوسة رأيها.. لكـــن نوســـة إنزعجـــت وظهر على محياها الزعر، كانت تجد فى ذلك التصـــرف، العـــار والشنار. وإستمرت مزعورة من أفكاره حتـــى غمـــره الإحبـــاط وحاولت رفع ذلك الإحباط عنه فتعهدت بأنها ســـتجعل والديهـــا يوافقان -بإذن الله- وبدلت من طبقة صوتها وقالت:

- لكن لابد وأن يستفيدا بشئ..!!

فأبلغها بخصوص الطلبات المحددة بأنـــه ســـيبدأ مـــن الصفر، وينتهى عند الصفر، وليس معه ما يقدمه إلا ما يملكـــه حالياً.. وهو دون الصفر!

ولما تلكأت نوسة فى الإستجابة.. قال لها:

- أنت مودموزيل تفتقدى الخيال.. نعم جميلة.. وكلـــك أنوثة.. لكن من يتزوجك سوف يشقى كثيراً.. أنا لن أتزوج مـــن فتاة سقطت فى الإعدادية، وتكذب، وتقول بأن لديها دبلوم تجارة ولا تريد أن تعمل به.. جسمك ربما يأتى إليـــك بعريـــس لقطـــة يسعدك ويسعد والديك.. أما أنا.. فقد قدمت إقتراحى على ســـبيل أنك أتيت إلىّ..

- قاطعته غاضبة:

- إنت إيه.. كل من رآك معى ظن بأنك جرسون فى المقهـــى.. أقول لهم.. محامى.. يقولوا.. موش معقول.

•• ذلك حدث فى وقت كان فتح الله يستمع بشغف إلى حكايات شيقة لمسجون سياسى سابق إسمه "حمدى سكروته" يحلل كل الأخبار العادية، بما لا يخطر على البال من المؤامرات والشراك.. وإذا ما كانت المناقشات تطول بين فتح الله، والسياسى العجوز حمدى سكروته الذى يعيش على الذكريات..

كان شباب الشلة يضيق بالمصطلحات المستخدمة بينهما من نوع "الديالكتيك، والمنشفيك والبلشفيك، والإستراتيجية، والتكتيك، والبرجوازية والبلوريتاريا، والبرجماتية، والليبرالية، والثيوقراطية..

فمعظم أفراد الشلة من الشباب الصغار، كانوا يتركون السياسى العجوز للأستاذ فتح الله.. وينشغلون بالبصبصة على النسوان الجميلات المارات فى شارع الكورنيش..

ولما توغل فتح الله "الطيب" مع السياسى "الظريف" صار فتح الله يتوقف به على بعض المحطات.. ليعمق تاريخها ونتائجها بالتحليلات، وقد إستبان للسياسى الكلاسيكى، أنه أمام مثقف رومانسى جيفارى النزعة، صينى التوجه، له وجهات نظر تضعه فى أقصى اليسار..!

وهاله بأن الشاب الطيب الأسمر فتح الله قد حدد وجهة نظره تجاه الناس، والحكومة والإنفتاح والثورة، وبأن الوقت الحالى خلف البيروقراطية العسكرية، التى أزاحتها بيروقراطية الوكلاء للشركات عابرة البحار، المعضدة بالرأسمالية المتوحشة، التى لا تذبح عجلاً فى مناسبة دينيه، ولا تقيم إحتفالاً بموالد أولياء الله الصالحين، ولا تنفق مليماً بإسم الله العلى القدير، تلك الرأسمالية التى لا تفكر فى بناء المصانع وتشغيل جيش من العمال.. إلا إذا كان المصنع يحقق أرباحاً مهولة ..

•• والمناقشات بين السياسى الكلاسيكى "سكروته" والمثقف الرومانسى "فتح الله"، خلطت بين أجواء الأدب والثورة.. فكانت

للمناقشات سنون حامية، تجعل "عبدو" يتابعها عن كثب وبشئ من الإهتمام،وعندما يحتدم النقار بين المحامى الشاب، والسياسى العجوز.. فلا يلحظان ذلك الرجل الذى يجلس على الترابيزة المجاورة، والذى يسجل رؤوس المناقشات فى نوتته عياناً بياناً.. معتمداً على أن بالمقهى كثير من الكتبة على الترابيزات.

وذلك "المتابع" مكلف بمراقبة السياسى العجوز سكروتة منذ كان شاباً فى الستينيات، حتى صار شيخاً فى الستين.. وإبيض شعر رأس المخبر المكركت، لكن أذنيه كانتا تستقبلان كل شئ بوضوح وبدون وشيش.. لقد قام "المتابع الأمنى" بإدخال الشاب الرومانسى فتح الله المحامى فى دائرة المراقبة.. وأشرف على ذلك "العقيد" المقيم فى شارع الفراعنة الذى تحول إلى شارع بنى العباس!!

وفجأة إنقطع الأستاذ فتح الله عبده فتح الله المحامى عن الحضور إلى المقهى.. إذ أنه خرج من المقهى ليأكل لقمة فى المطعم القريب.. ذهب ولم يعد..!

فكانت دهشة الجرسونات "أصحابه" -شديدة-.. وكذلك العملاء الذين يأتون من شارع النيل بكرموز.. وجميع أفراد شلته.. والجميع يسألون:

- أين ذهب الأستاذ فتح الله..؟ وهو ليس له من إقامة إلا فى المقهى، ليل، نهار..

قالوا:يمكن إشتاق للشقة فذهب يطل عليها..

ذهبوا إلى هناك فوجدوا أن أحد أعمامه قد إستولى على الشقة، ونقل إليها زوجته وأطفاله.. حتى عمه سأل:

- "هو فتح الله فى الإسكندرية؟ معقول؟ نحن نظن بأنه سافر إلى الخليج..؟!"

غياب الأستاذ فتح الله جعل (شلته) تجتمع يومياً

بحضور حمدى سكروتة للسؤال عنه، وليتم ضرب الأخماس فى الأسداس.. ومعهم السياسى العجوز سكروتة الذى إنتهزها فرصة، وهات يا ذكريات عن حبسته السياسية القديمة، كما أخذ يحيط مجموعة الشباب الصغار بوصف تفصيلى عن الحياة الجماعية للمساجين فى الواحات، كما.. أخذ يوضح لهم نقاط الخلاف بينه وبين "الأستاذ فتح الله المحامى"

وقد صنفه على أساس أنه فى "أقصى اليسار".. وضحك وقال:

- يعنى زقة صغيره ويصير مناصراً لأهداف اليمين!

وعبدو -أقرب الأصدقاء لفتح الله- كان يهز رأسه على أساس أنه "فاهم" معنى كل الأكليشهات التى يستخدمها السياسى العجوز حمدى سكروته.

..ومرافقه الأمنى "يمكن أن نستخدم -يرافقه كظله- فلم يزل هذا الوصف قابلاً للإستخدام" كان قد إنهمك فى تسجيل كل كلمة، تصل إليه، وقد أخرج لسانه، يلعق به شفته السفلى.. "على إعتبار أن بقايا "الخلية" فى حالة إنعقاد دائم بعد إختفاء "حزامها" من مقهى البنور!"

والجرسونات -هم ثلاثة- الذين كانوا يتعاملون مع شلة فتح الله.. كانوا يتعاطفون مع الرجل الأمنى ذى الشعر الأبيض المكركت.. الذى يكاد يلتصق بظهر السياسى العجوز حمدى سكروتة، منهمكاً فى تسجيل كل شئ يقال، الجرسونات إعتبروه كما "الأستاذ فتح الله".. لابد وأنه يكتب القصص..وسوف يقرأها على الشلة بعد أن يفرغ منها..

فكان الجرسونات تلقائياً لا يصنعون ضجة المقاهى البلدى من زعيق ولعلعة فى تبليغ الطلبات.. كى يتيحوا لكل من يكتب.. أن يكتب فى هدوء..!!

(٤)

بقع حمراء علي قميص دبلان

□صديقي فتح الله "المحامى البوهيمى" الذي فقد منزله -فيما يبدو- كف عن البحث عن مسكن جديد، وقد كان يضيق بالمسكن الذي شهد موت والديه، فلا يطيق الإقامة فيه.. لذا فقد أهمله تماماً.. وصار من يراه ويدقق فى أحواله، يظن بأنه متشرد لم يكن له مسكن من الأصل!

في ظني أن المشكلة الحقيقية لصديقي فتح الله هي حالة الإهمال والكسل التي تنتابه إذا ماتعلقت أي مسأله به شخصياً.. وكذلك حالة التوهج والنشاط إذا ما تعلق الموضوع بأي شخص غيره..!

لما كان فتح الله يعمل لدي مكتب الأستاذ راغب راغب كان يخلص في عمله ويسهر لوقت متأخر.. كانوا يتركونه يعمل بالمكتب ويغلقونه عليه الأبواب، فينام عند الفجر ساعات قليلة جالساً على أحد الفوتيهات، ويغطي صدره ببلوفر أو فوطه..

ولما كان البرد يقرصه، كان يستيقظ ويتحرك في المكتب.. يولع البوتجاز يعمل لنفسه كوب شاي، أو فنجال قهوة، ويستدفئ قليلاً.. وقد يستخدم ستارة النافذة ليتغطي بها، ويعيدها مكانها في الصباح الباكر.!

ولما ترك العمل في مكتب الأستاذ راغب راغب المحامى تركه على أثر توسع، وليس ضيقاً.وقد صار المكتب يقتنى سبعة من المحامين، وعدد من الكتبة والسكرتيرات. والمكتب أسند حراسته لإحدي شركات الحراسة الخاصه، وأفراد الحراسة

يرتدون الملابس الزيتونية التي تشبه ملابس أمناء الشـــرطة. ولعلهم هناك ضيقوا الخناق على فتح اللـــه بـأن لا ينـام فـي المكتب. فتفجر موقفه، الذي تراكم راقة فوق راقة علـــي مـدى سنوات، دون أن يشعر بخطورة تلك التراكمات حتي وجـد تلـك القشرة الضعيفة لينكسر ويطن غضبته في موقف عنترى، حـدد فيه علناً "دور المحامي الشريف" الذى يختلف عن "دور المحامى غير الشريف"

ويقال أن فتح الله إستمر في إلقاء موعظته أو خطبتـــه العصماء علي المتواجدين في المكتب، وعلي عـــامل المصعـد، وهو نازل السلالم.. وعلي بوابين العمارة المكتظة بالمكـــاتب.. وعلي المارة والباعة الجائلين في ميدان محمد علي. سائراً فـــي الشوارع التي تؤدي إلى مقهـــي البنـــور دون أن يكـف عـن الزعيق..

في المقهي إستقبله الجرسونات أصحابـــه بالأحضـان وهنأوا أنفسهم بأن "الأستاذ" قد فعلها.. فقد كان يشكو لهم يومياً معاناته وما يراه ويسمعه في المكتب من أشياء تعمل علي جعـل الضمير مثقباً، أشبه بمصفاة الطماطم، وألوف الجنيهـــات تمـر تحت أنفه لتغيب في درج راغب راغب المحامى، الـــذي يشـكو ضيق ذات اليد بسبب بناء عمارته الجديدة فى ظهـر المنشـية. وفيلته الجديدة فى الساحل الشمالى .. ويتمسك بأن كثرة المـال في يد الشباب من المحامين فى أول الطريق مفسدة لأخلاقهـــم، ونحر في عزائمهم.. فتجمد أجر "فتح الله" بينما الأسعار ترتفـع يومياً عدة بوصات كمياه الفيضان تغطى صـــدره.. ثـم رقبتـه، وتدريجياً شعر بأن الماء سيغمر أنفه وهو لا يجيد العوم، فـــآثر أن يقفز.. من كونه محامى بمكتب راغب راغـب.. إلـي كونـه زبونـــا دائماً في مقهي "البنور"
وقد رأي أن مشكلته طولها صار مثل عرضها!!

ولأن الله لا ينسي عبيده الثائرين علي الإنحراف، فقـد

صارت الترابيزه التي وراء العمود الذي يقع أمام باب المقهـــي الرئيسي.. مكتباً للأستاذ فتح الله، يستقبل عليها زبائنه الكـــرام وأصدقائه الكرام.. وعلي نفس الترابيزه الرخام يدون المذكرات، وفي حقيبته السوداء ذات المنفاخ تزدحم الملفات والمســـتندات مع الدباسه والخرامه والمسطره ومجموعة من الأقلام وأكلشـــيه وختامته وحزمة دوسيهات طبع وجهها بأســـمه، ولطـــع فيهـــا تليفون المقهي..

والعمل من الناحية الشكلية صار مقبولاً..

وأنا وفتح الله.. مع عدد مـــن الأصدقـــاء مـــن نفـــس النوعية، نناطح الصخر الجامد.. فـــلا نصيـــب الصخـــر بأيـــة خدوش.. والدماء تسيل من جباهنا، نتكلم في أحوال البلد، وكأننا نحن فقط المسئولون عنها.

نبدأ عادة بخبر من أخبار الأستاذ راغب راغب. وآخـــر القضايا التي كسبها.. وأساليبه الغريبة في جعل الحـــق بـــاطلاً والباطل حقاً..!

والمناقشات كانت تغوص بنا فى طبقات نفريها بمثاقيبنا فيتناثر رذاذها.. وفي أحيان كثيرة يصيبنـــي الـــرذاذ، أو يقـــوم صديقي فتح الله بتعوير نفسه.. تمامـــاً كما يعور الواحد نفســـه لما يكون متوتراً جداً وبيحلق دقنه بموس جديد، قبل أن يفنجـــل عينيه ويفوق لروحه..

وكان ما يدهشنى حقاً. إذا ما جرحت نفسي أن الدمـــاء تسيل على وجه فتـــح اللـــه، وتقطـــر علـــى قميصـــه الدبـــلان بقعاً حمراء فوق الصدر، فيصير قميصه مبقعاً بدمائى، ودمـــاء أصدقائنا..!

إذ لا حظت بأننا نحن الذين نتكلم، ونغضـــب، ونســـب، ونخرج الغضب المحبوس من صدورنـــا ونســـتريح.. فنمـــارس حياتنا طبيعياً.. وفتح الله عبده فتح الله.. هو الذي يتهـــم بأنـــه

"قمع" الشلة وزعيمها والحاض علي كراهية الحكومة.. والعامل على قلب طبقات إجتماعية معينة. لجعل التى فوق تحت، والتى تحت فوق.. وهذا يعتبر خروجاً غير شرعى على القانون، تحرمه المواد -من ٩٦ حتي ١١٢ من قانون العقوبات.

لذلك فهم يتلقفونه من علي باب المقهي. يختفي فتح الله فترة.. ويعود.

وفيما يبدو أنهم يشددون عليه بالتحذير بأن لا يتحدث مع أحد عما يحدث له عندهم، ولعل فتح الله "الذي لا تبل فى فمه فولة" قد وعدهم بذلك.. وأنا أعرف فتح الله.. دائماً عند وعده..

نسأله عن أسباب تغيبه، فيرد علينا بالإبتسام الذى ليس له معنى.. أو بالحديث في موضوع آخر يطوح بنا بعيداً عن الإجابات المحرجة.!

(٥)
ضحك كالبكاء

☐ كما تعلمون حضراتكم.. الصديق له عند صديقه "خدمة" يعنى يدارى عليه مرة بكذبة بيضاء.. حتى لو كانت الكذبة سوداء أو حمراء، أهى "الكذبة" تفوت كما تفوت "نكتة" جنسية حراقة، عن شخصية كبيرة ومهمة،وتستطيع أن تؤدى بقائل النكتة فى "ستين داهية".. النكتة تنقال ونضحك وننساها فى الحال. على إعتبار أن شعبنا له طبع هوائى.. ويبحث دائماً عما يفك به كربه،كى يخفف الشعور بالقهر عن نفسه..

.. أو هكذا تكون عادة سكان السهول، أصحاب الحضارات القديمة،يتكيفون مع أحوال متناقضة، وتراهم وكأنهم بحيرات ساكنة،ليس فى أعماقها حياة.. والحال يكون مضاعفاً عند سكان شواطئ البحار المتصلة بالسهول والأنهار..

.. لما عاد صديقى فتح الله إلى ترابيزته المعتادة بالمقهى. الحقيقة أنا وعدد من الأصدقاء فوجئنا به. فقد أصابنا اليأس لهذا الإختفاء المصمت الذى ليس به مسام يتنفس منها.. أو أى بادرة أمل بأننا سنراه مرة ثانية.. فيما يقال.. "غياب بدون حس أو خبر." وقد تصورنا -اللهم إحفظنا- أن عربية دهسته وحملوه بعيداً، وتخلصوا من جثته فى الملاحات بظهر المدينة. ومسألة الغائب الذى ستكون حجته معه -حيرتنا- لكن الأثر النفسى للذين لم يتغيبوا ويجتمعوا يوماتى وليلاتى يقلبون فى المسألة.. فيها الرعب يكون خلية أو بضعة خلايا تنقسم بهدوء.. ثم يصيبها الجنون فتتضاعف بصورة مذهلة، حتى يصير الخوف مزدحماً بداخلنا ليصل إلى الحلقوم.. يخنقنا، وتبدو عيوننا جاحظة، وفتحات أنوفنا متسعة، وعروق رقابنا منتفخة كمن

يلفظون أنفاسهم الأخيرة..

نعم.. كنا نختنق لثلاثة أسابيع طـوال.. وفجـأة ظهـر فتح الله أمامنا.. يدخل المقهى كأنه يدخل مكـان لأول مـرة.. يجول ببصره فى أنحاء المقهى، كأنه يحـاول أن يتعـرف علـى المكان أو كأنه يؤكد لنفسه أنه عاد إلى مكانه القديم الذى أجـبر على الغياب عنه.. لعله لم يتصور أنه عائد مرة أخـرى.. وقـد يتوه لحظات عن مكان الترابيزة وراء العمود الغليظ.. لكنه أمـام الجمود الذى أصاب الجرسونات، وخاصة عم عبد العزيز.. ومن يعرفه من رواد المقهى، يمضى فى هدوء ويجلس مكانه.. وعـم عبد العزيز الجرسون يمشى فى اتجاه الـدولاب الـذى يربـض بجانب النصبة، يفتحه ويتناول منه الحقيبة السـوداء المنبعجـة. يحتضنها بين ذراعيه، ويمشى بها إلى الترابيزة، يضعها أمامـه. وهو يغمغم:

– قلقنا عليك يا أستاذ، نحمدالله على سلامتك.

يطرف فتح الله عدة طرفات برموش عينيه ويركز بصره علـى الحقيبة، وعندما يذهب عم عبد العزيز ليأتيه بفنجـال القهـوة "على الريحة" يقوم فتح الله بإنزال الحقيبة المنتفخة مـن فـوق الترابيزة، يضعها تحت رخامة الترابيزة بجانب قدمه الشـمال.. والبنطال الجينز باهت ومهترئ الأطراف على "الكوتش.." منحول عند الركبتين، وفانلة بيضاء ذات كول مخنوق عند الرقبة، فوقها قميصه الفاتح، مفتوح الصدر لزرارين، ومطـق عنـد البطـن بزرارين.. فاتح كما ورق الجرائد، ووجهه المسـحوب إذا مـا أخفض رأسه، بدا لنا أن لغداً تحت ذقنه تكّون حديثاً.. لكـن إذا إقتربنا منه، سنجد أن وجهه الأسمر الغامق، دهنى إلى حد مـا يلمع وكأنه عرقان.

ولما مر فتح الله بعامه الثلاثين منذ عامين تقريباً.. بدأ جلد وجهه، وساعديه، يبهتان كثيراً.. السمار النحاسى الذى كان يجعله أسمر غامق.. إنقلب.. إلى أسمر باهت، كما اللون الأسود

إذا مر بالتحولات الجوية، وصار رصاصياً، ومع ذلك ظـل فتـح الله وسيماً.. أنفه قوقازى وشـفتاه لا تختلفـان عـن الشـفاه المسمسمة.. وسط... لا هى خواجاتى مزمومة ونحيفة من أثـر البرد الزمهرير الذى يجبرها على الزم. والغلق فى صورة خـط بالقلم الرصاص. ولاهى شفاه إفريقية مقلوبة مـن أثـر الحـر الخانق الذى فيه الإنسان ينفخ وينفـخ حتـى تصـير شـفايفه شلاضيما.

** منذ تعرفت به، وصديقى فتح الله يغرم بارتداء الملابس الفاتحة.. ليست بيضاء زاهية؛ لكنه يفضل الملابس ذات اللـون السكرى، أو التى فى لون ورق الصحف، والبنطلون إذا لم يكـن فاتحاً سيكون "جينز" أو سيكون من الجينز السماوى الباهت الذى يقترب من اللون الأبيض المزهر بالأزرق.. والملابس الفاتحـة على لونه الأسمر الغامق تحدث التضاد.. فتجعل من فتح اللـه، برغم أنه لا يهتم بهندامه كثيراً.. يبدو أنيقاً أكثر بين الصحاب..

.. لما عاد فتح الله بعد الإختفاء.. حذرنا عـم عبدالعزيـز الجرسون الذى يعتبر فتح الله إبنه البكرى.. بأن لا نتحدث معه فيما حدث.. التفتنا إلى عم عبدالعزيز بشدة.. "يعنى عارف أيـن كان فتح الله كل هذه المدة، ولم تفصح..؟" والرجل الذى ظهرت على وجهه خطوط دقيقة، وله تلك النظرات التى تصدر لامعة من عيون مستديرة صغيرة، وكأنها عين طـائر جـارح.. الخطـوط والعيون والإستجابات لمن يكون مفلساً فلا يقف أمامـه طالبـاً الحساب.. تجعلنا نؤكد أن عم عبد العزيز الجرسـون.. يعـرف الكفت"

وسألنا عم عبدالعزيز:

– ها قد وصل فتح الله بالسلامة قل لنا أين كان؟

الرجل أخذ يتلفت حوله عدة مرات.. تلفتات خاطفة ثـم

مال على أذنى وقال:
- يا سى عبدو.. تفتكر ماذا سيحدث عندهم.. وهم يتهمونه بأنه "سياسى" خطير.. ضد الحكومة.. وضد أمثال "راغب راغب"..
هل يكون للأستاذ راغب يد فى..؟!

•• للحظات صمتنا، وكل منا نظر فى إتجاه، وتصورت ماذا سيحدث لشاب محامى تأخذه عزة النفس ويريد التثبت من حقيقة ما يقرأه، ويسمعه. ويصر على أن يرد.. ويعتقد فى قرارة نفسه أنه سيفحم "الضابط" ويجعله أمام ثقافته الغزيرة ينصاع له..

•• تمنيت من كل قلبى أن لا يكون فتح الله قد عمل فيها بطلاً.. كما يحلم الجماعة الرومانسيين.. فاضطروا هناك إلى أن يعجنوه ويلتوه ويعيدوا تشكيله كما عجين الخبيز!

•• تدريجياً وحتى لا نسبب له إنزعاجاً، زحفنا نحوه فرادى.. كنت انا البادئ بحكم المودة، يتنازل عادة بقية أفراد الشلة بالمقدمة لى عنده.. التقيت به، وكأنى تركته مساء أمس.. السلام العادى.. وفتحت الصحيفة، وكأنى أبحث عن موضوع معين.. كانت جريدة الأهرام فى صفحة أدبية تظهر فى منتصف الأسبوع، قد أشارت إلى إسم الأديب السكندرى فتح الله فتح الله.. على أساس أنه أديب يجب أن يقرأ له باهتمام كحيدر حيدر.. وعلق الصحفى الظريف، بأن أصحاب الاسماء المتشابهة لهم عبقريتهم الخاصة. سمع فتح الله تعليقى، وقراءتى للخبر. وتمكنت من أن أجعله يبتسم..

•• ولما كانت الشلة قد تحلقت حول الترابيزة، وصار هو يدير المناقشات.. أو تدار المناقشات لتنتهى عنده، كنا نضحك.. نعلق على الأشياء، كعادة الشباب فى تجمعهم، يضحكون من أتفه الأسباب، أو كما الحشاشين ما يضحكهم لا يضحك أحداً غيرهم،

•• كان فتح الله يشاركنا الزيطة.. ولا كأن شيئاً قد حدث له من أصله.. لكنى كنت اشعر فى قرارة نفسى بأنه ضحك كالبكاء، يضحكه فتح الله حتى يؤكد لنا -ولنفسه- أن الموضوع انتهى خلاص وراح لحاله..!

(٦)
رحمة الملائكة

☐ المقهى يطل على شاطئ البحر المالح.. نفس البحر التى تطل عليه فرنسا وأسبانيا وإيطاليا وتركيا واليونان وسوريا ولبنان وليبيا وتونس والجزائر.. وضعف هذه الدول..

والمقهى باق منذ أيام الجاليات والخواجات بنفس النسق وترتيب الترابيزات والمقاعد.. وأعلى النوافذ، على نافذة أو إثنتين أثر باق من دهان الزجاج باللون الأزرق الذى تم دهن النوافذ به أيام الحروب السابقة.

لا اظن إنها الحرب العالمية الثانية.. لأن ذلك سيكون بعيداً جداً.. لكن يمكن أن تكون حرب ٥٦ لما تعرضت الإسكندرية لغارة أو إثنتين.. وحرب ٦٧ لما تعرضت الميناء لعملية تخريب بالضفادع البشرية.. وفشلت.. والصيادين والأهالى إصطادوا تلك الضفادع.. كانوا يرفعون عن وجوههم غطاء الوجه من الكاوتش والزجاج، فيبكى الضفدع ويتوسل بكل اللغات إلا اللغة العربية التى يفهمها الصيادون، فيشبعونهم ضرباً.. قبل أن يأتى أحد المتعلمين "يجب أن يكون مثقفاً" ويطالب الأهالى بعدم القضاء على الضفدع، فإن تسليمه حياً للحكومة يكون أجدى لها.. منه تستفيد المخابرات كثيراً.. أو يستفاد منه عند المساومات -ومع أن الكلام يكون غير مفهوم من المثقف للأهالى- إلا أنهم يطيعونه، فمعظمهم يكره الأعداء، لكنه لا يتصور أن يقتل أحداً بالشلاليت واللكمات!

لذا فإن هذه المقهى لم تكن غريبة فى شكلها عن المقاهى القديمة التى تتراص فى شارع الكورنيش، وموقعها

مميز.. بين المنشية ومحطة الرمل.. يرتادها أحياناً بعض النساء وأقصد بالنساء "الفتيات الشـابات" اللاتـي يكتبـن القصـص، ويقرضن الشعر الحر المزحوم بالرموز الجنسية، وفيه يتم سـب الآباء والجدود والحكام.. يلقونه، أو يقمن بتمثيله فـي الفـرق الخاصة جداً. تلك الفرق التي لا تستفيد مليماً من ميزانية قصور الثقافة، والتي تنشغل بعمل البروفات لأكثر من ثلاثة شهور فـي نوع من التبتل لتقديم عرض تجريبي لليلة واحـدة فـي إحـدى القاعات، عادة ما يحضره نفس الممثلين وأصدقائهم وأهلهـم..

لكن الصور الفوتوغرافية للعرض، ستبقى مع الممثلين شهوراً، يتبادلونها ويحدقون فيها، ويدعكونها بالأصابع حتى تبلى..!

في ذلك الوقت، ولعل ذلك حدث بعد أن تأكدت الحكومـة بالتكرار الذي يعلم الشطار أن فتح الله عبده فتح الله المحامي لا يلعب دور الزعيم، ولا يتنطط في المنطقة المحظورة، والتي يجب أن يفهمها الجميع، دون ذكر يخـل بـالإعلان عـن الحريـات والديمقراطيات، وأن من طبيعة فتح الله.. الذي عـاش يتيمـاً، حالة المؤانسة بالشباب، والإسـتدفاء بالأصدقـاء.. والإنشـغال بكتابة القصص التي أرسلت وفحصت وتبين أنها "فـي نظرهـم" قصص "هبلة" لا تشكل تحريضاً.. وإن حاولت فهو تحريض غير مفهوم، كما اللوحات السريالية المبعككة، التي تحتاج إلى كراسة، وعدد من المقالات لفك رموزها...

وعليه.. فقد صرفوا النظر عن كون فتح الله قد إتخـذ من مقهى البنور مستقراً دائماً.. طالما كانت له شقة، وله هوية، ويعمل بالمحاماة

"عمل فتح الله بالذات.. كمحامي له إعتباره أيضاً، فهو صاحب شهادة" وعليه، خيل لنا أنهم قـد كفـوا عـن ترصـده ومراقبته، وأمروا مخبرهم صاحب الشعر الأبيض المكركت الذي إذا كتب شيئاً في نوتته إندمج وأخرج لسانه يلعـق بـه شـفته السفلى.. بأن يكتفي بعمله المنوط بـه منـذ كـان "سـكروته"

السياسى الكلاسيكى، شابا يتدفق بالحيوية..
وأن يترك فتح الله المحامى فى حاله..

وفتح الله إلتزم بتعهداته، ولم يذكر شيئاً "للعامة" عما كان يحدث له هناك، ولكنه سيذكر ما حدث لصديقه عبدالفتاح، بعد أن يستحلفه بكل المقدسات أن يسمع باليمين ويصرف ما يسمعه بالشمال.

عندما كانت علبة سجائره تفرغ كان يقوم ليشترى لنفسه علبه سجائر كليوباترا، ومشط كبريت. ذلك ما حدث أول مرة "إقترب منه عملاقان" الواحد منهما ثلاثة أضعاف طول فتح الله وحجمه، وجعلا منه "طازجاً بين شاطر ومشطور" يعنى "سندوتش" وحملاه من تحت إبطه، تتأرجح أقدامه في الهواء

فى المرة الأولي إنزعج فتح الله بأن يخطف فى وضح النهار وبالقرب من محطة الرمل المزدحمة بالناس، والناس ينظرون إليه ولا يفعلون شيئاً.. ضايقه بأن لا أحد أبدى إحتجاجاً أو حتي دهشة.. وكأن ما يحدث.. يحدث له بعد أن لبس المختطفين طاقية الإخفاء، كان قد سألهما وهو مخضوض "إلي أين تذهبان بى؟" ولم يرد عليه أحداً منهما. إذ كانا يقومان بعملهما في منتهى الجدية، يعلقانه بينهما ويمضيان به إلي السيارة الصندوق التى تشبه سيارة الإسعاف، لكن بدون علاماتها أو نعيقها

فى المرات الأخرى.. الثانية والثالثة.. كان يعلق فيرفع قدميه ولا يقاوم ولايسأل.. فقط يحاول أن يحدد المسافة التى سيحملانه فيها إلى السيارة.. ويكون مستعداً أن يمشى معهما علي قدميه إذا أمروه بذلك. لكنه كان يفضل عملية التمرجح التى لها ذكرى طفولية متوارية فى اللاوعى.. لابد وان والديه مرجحاه يوماً بينهما، وكان وقتها طفلاً صغيراً فى منتهى السعادة .. فقد اختلطت الذكريات القديمة المضببة، بما يحدث له في الواقع، فكان متحيراً وهو يتخبط في المنطقه الوسطى بين الحلم والواقع، عموماً المسألة إذا تم تكرارها كثيراً تفقد طزاجة

الإنفعالات.. بل تدخل قسرا تحت بند غتاتـــة النكـت القديمــة المعادة، والتكرار الكوميدى في المدرسة المدبولية.. التي يكون فيها الضحك.. كضحك الزغزغة.. بالعافية!

والذين كان يصيبهم الإنزعاج الحقيقى. هـــم اصدقـــاء فتح الله عبده فتح الله.. ولما كان يعود. كنا لا نسأله عن سبب الغياب المفاجئ.. كما ينصحنا عم عبد العزيز الجرســون الــذى تبناه..

وكان فتح الله إذا ما عـــاد ينســى مــاحدث.. يقابلنــا بالضحكات أياها التي تشبه النهنهه.. وخلاص..

ولابدوأن أخونا فتح الله حصل علي الضــــوء الأخضــر "منهم" حتي يحكى ما كان يحدث له!

وقد صارت له ذكريــات كلاســيكية .. كمــا السياســى العجوز حمدي سكروته الذي لاشغلة له ولا مشغلة إلا الحديــث عن أيام السجن والإعتقال .. والتي بدأت في مارس ٥٩ وإنتهت في عام ٦٤ بتأييد مطلق لعبد عبد الناصر.. ولما تكلم أخونا فتح الله أمام الشباب، وأنا أعرف حقيقة كــل الوقــائع والأحــداث ذهلت إذ تناول الموضوع علي طريقتـــه فــي كتابــة القصــص الخاصة به قـــال:

"آه إفتكرت أنا كنت لما يعلقونى.. أشعر بـــأنى خفيــف جداً.. وفي إستطاعتى أن أغافلهما وأطير.. لكنى كنت قد اعتدت علي اللقاء بالملاك العجوز الأصلع الـــذى كـــان يســتجوبنى.. والملاك العجوز يحكى حكايات كثيرة عن نفسه، وإذا تعب يقـــوم ويذهب إلى بيته، ويأتى لى في اليوم الثانى منتفخ العينين، مورد الخدين، يتحدث، منطلقاً من نفس الكلمة التي توقـــف عندهـــا.. كأنه يتلو مقرراً لابد وأن يذاكره، ويسمعه لى، كلمـــة.. كلمـــة. علي أساس أنا وهو سوف نمتحن فيه، لدرجـــة أننـــي صــرت مستظهراً لجميع الخطوات، وجميع الحكايات، وكنت أقول له فى كل مرة نفس الإجابات..

والملاك العجوز لم يكن يغضب.. كان يظل مبتسما حتـــى وهو يعطى الملائكة الصغننين إشارة فيبدأون في التعـــامل مـــع جسمى الطينى.. لتحويله إلي جسم نورانى. على أساس تحويلى إلي ملاك أبيض في أبيض مثلهم.. والملاك العجوز الأصلع يكون عادة معجبا بكل مايتفوه به.. وكأنه مغنى يغنـــى، ولابــد مــن التكرار.. يقول للملائكة الصغننين -أنه صار يمتلك سجلاً كـــاملاً لكل السياسين الشياطين في الإسكندرية- ثم يفسر لفتـــح اللـــه الذي بدأ ممتثلاً لعمليات التحول، من الطين إلي النور

ما معنى الكفت؟

ولأول مرة يعلم فتح الله أن "الكفت" هو الغشاء الرقيق جداً الذى يغلف نواة البلحة..

وأبدى فتح الله سعادته بتلك المعلومة المهمة التي خرج بها من قضاء أسبوعين علي الكنبة الجلد السوداء، في غرفـــة، من المفروض أستخدامها كمكتب لأحد الضباط المتوسطين.

عموماً رحمتهم وإنسانيتهم شملت فتح الله المحـــامى، فلم ينزلوه إلي تخشيبة المبنى، والتي كانت فائضة بالغائط..

ولما أثبت فتح الله أنه خلاص صار ســـتراً وغطـــاءاً.. ومنفذاً جيداً للنصائح، وصار الناس حوله يتكلمون، وهو ســـكتم بكتم.. كفوا عنه، وكان فتح الله يستخدم.. تلك الإبتسامة الخلابة التي تظهر أسنانه البيضاء "بيضاء كالأسنان الصناعية" مع أنـــه يصير فى تلك الأيام حريقة سجائر، يحاول دائمـــاً فـــرد وجهـــه الأسمر الغامق..

ولعلي تصورت كيف كان ينتشى الملاك الأبيـــض وهـــو يرسم الألم علي وجه صديقى الأسمرغامق..

إنها رحمة الملائكة التـــى لا ترهـــق الأرواح، وتكتفـــى بإرهاق الأجساد الفانية!

(٧)
دار نشر منال

□ من المؤكد أن كل شاب وشابة، يعرفون ماذا يحـــدث بعـد الحب الرومانتيكي؟
فقد مر صديقى فتح الله بالحالة مع منال الدغيدى، عندما ركــز كل جهوده -طلباً للسلامة- في محاولة لأن يعود إلي المشـــاركة في الندوات "إجتماعات المقهي في الواقع" بالكلام الذى أجبر بأن يمتنع عنه، ويكتفى بالإبتسامات البلهاء، وهز الأكتاف، وتســبيل العيون، أو توسيعهما. مع رفع كتف أو إنخفاضه.. وهـــي لغـة تحتاج إلى وقت طويل، حتي يتجاوب معها الذين يناقشهم، ويريد أن يبدو متفوقاً أمامهم، حاصلاً على قناعتهم به ومحل ثقتهم!

فتح الله، من جهته.. حاول، وتكيف.. وأفرغ ما حـــرم منه، في إنجاز القصص المدهشة، التي يكتبهـــا عـــن الملائكـــة والشياطين، فصنع بها واقعاً جديداً موازياً للواقع الـــذي لا يـــود تقييمه صراحة.. إذ أن واقعه الجديد، لا هو خيالى صرف.. ولا هو حقيقي بالفعل.. الأمر الذى وجده فتح الله سهلاً، وميســـوراً للغاية!

"هو إمكان نقل تصوراته الذهنية على الورق، وذهن فتح اللـــه.. ماشاء الله، صار يتأرجح مابين العقل والجنون.

مستكيناً فى تلك المنطقة الرمادية، التى تأتى بالمدهشات من المواقف والصور.. وحتي الحوارات التي تدور بينه وبيـــن الملائكة والشياطين -شخصياً- كانت الأحداث تتسم بالتنـــامى.. يجعل من يسمعه يصدق أنها حدثت بالفعل..

من جهتي إعتبرت حواراته مع الملائكـــة والشـــياطين منتهى الإيمان بمخلوقات ذكرت في الكتب المقدسة، ولم يشاهدها في الواقع إلا هو.. كما أن إنكاره ورفـــض تصوراتـــه معهـــا.. سيكون كفراً بما خلق الله سبحانه وتعـــالي.. لـــذا فقـــد آثـــرت "كصديق قديم" ذلك الحياد "السويسرى"

مؤكد أن أى طبيب نفسى سينظر فيما ســطره صديقـــى فتح الله، وجعل أفراد الشلة تندمج فيما سطره من هلاوس على الورق.. بعدها سيحكم عليه بالإنصياع لتنفيذ روشتة جلسات في مواعيد محددة.. يسترخى فيها فتح الله ويسلم نفسه لأول إجابة تخطر فى ذهنه.. حتى يمكن الكشـــف عـــن مرحلـــة الطفولـــة، والخفايا، التى توارت فى الحنايا، والأماكن النفســـية المظلمـــة، وخاصة فى مرحلة المراهقـــة التـــى لا يعتـــد بهـــا إلا الأطبـــاء الدارسين، ويحاول النـــاس "بعـد أن يعقلـــوا أو يـــتزوجوا" أن يتناسوها.. شطباً من أذهانهم..

وأنا وحدى الذى صرح لى فتح الله عن تلك "الجـــارة" السمينة التى كانت فى عمر والده "هى التى أكدت أمامـــه إنهـــا كانت جارة والده منذ مولدهما معاً فى عام واحد، وإنهما ولدا فى بيت واحد" وقد أضفت على فتح الله حنانها، علـــى أثـــر فقـــده لوالديه.. ولما كانت السيدة وحيدة لا عيل ولا تيل.

راحت تتدحلب، بحجة أن لا أحد سيشك فيها، فقد إختلت به فى شقته وحدهما، وإقتحمت مراهقتـــه بأســـاليب نســـوانية مفضوحة.. بأن تدعى الإرهاق فيحاول مساعدتها.. وأن تدعـــى وجعاً تطلب منه تدليكه، وإذا ما وصلتها حالـــة الضعـــف أمـــام مايكشف من جسمها إقتحمته وإحتوته..

فصار ينفر من السيدات المتزوجات الســـمينات، كبـــار السن، ونظراتهن الوقحة، وفى نفس الوقت لا يشغف جنســـياً إلا بهن.. وتفشل الشابات الصغيرات حتى نوسة التى كـــانت علـــى

درجة عالية من الجمال البلدى الأنفوشى، وللأنفوشيات جمالهن في بحرى، على أساس أنهن خلطة بين زواج مصـــرى وتركـــى وخواجاتى.. ومع ذلك فشلت أيضا معه!

وهنا كمن الصراع "يجاوره صراع آخـــر ثـــانوى" فيـــه تضغط عليه أمه بعواطفها المشبوبة، فهو ولدها الوحيد. ووالده بأوامره ونواهيه.. يود فتح الله، لو قتل عمـــه، الـــذى يصغـــر والده.. ذلك العم الذى إستولى على شقته التى حـــوت ذكريـــات يكرهها عن أمه وأبيه.. وفتح الله عندما يكره.. يعنى ذلك أنـــه يحب موت.. وأزمته ليست أزمة محددة، أنـــه لا يعـــرف كيـــف يفصل بين ذلك الجدار الواهـــن الـــذى ينتصـــب بيـــن الحـــب والكراهية..

حتى الأستاذ راغب راغب المحامى الـــذى تـــدرب فـــى مكتبه.. كرهه إلى درجة أنه أذابه فى مرحلة تاريخيـــة، صـــب عليها مقته.. ومع ذلك، فهو لا يستطيع أن ينســـى لحظـــة مـــن لحظات حياته فى مكتب الأستاذ راغب.. وذكريات تلك الســـنوات التى رسمت أولى مرافعاته، وأولى مذكراته، مرحلـــة إزدحمـــت بالآمال والأحلام.. تقتحمه، وتلهبه، فيطمسها بالأخيلة ومحاولات الهروب!

وحتى يتخلص فتح الله من تلك الهلاوس، صار يكتبها..

فإذا بها قصصاً حديثة، تجد من النقاد إهتماماً، وتجد من يحتفى بها، ومن يفرد لها الصفحات الطـــوال، يفندهـــا، ويقـــف أمـــام إسقطاتها ومحتواها الإبداعى..!

ولم يصدق فتح الله نفسه، عندما علـــم بـــأن الدكتـــور محمد محمود المغازى "أستاذ النقد بقسم اللغة العربيـــة بكليـــة آداب الإسكندرية"، قد جمع ما نشر له من قصص، وحصل منـــه على أربع قصص جديدة لم تنشر، وانكب فى "نقدها" فملأ ثلثـــى كتاب جامعى، عن قصص فتح الله، مقارنة بقصص كتبـــت فـــى أمريكـــــا اللاتينيـــــة، وغـــــرب أفريقيـــــا

امتلأت عينى فتح الله بالدموع، وهم يستقبلونه فى مدرج الجامعة، يقدمه الدكتور المغازى للطلبة الذين يصفقون، والأدباء الضيوف يقفون له.. وقد أشاد الدكاترة الحضور بكتاب الدكتور مغازى، بأنه رسالة دكتوراه جديدة.. تستحق النشر ككتاب ثقافى، فلا يكتفى بإلقائها فى المدرجات.

وبالفعل قامت دار نشر لبنانية بنشر كتاب الدكتور المغازى، ومعظمه يتناول قصص فتح الله.. وظن فتح الله والمحيطين به أن "بلية الروليت" قد إستقرت على رقمه الفائز.. وإنتظر أن يطرق بابه أحدهم "يأتى إلى المقهى" لنشر أول مجموعة قصص لفتح الله.. لكن إنتظاره طال..

فى ذلك قمت بتطييب خاطر فتح الله.. ورحت أضرب له عدداً من الأمثلة، التى تتحلى بالصبر الطويل، وأذكر له قصص الكفاح المملة.. وفى النهاية يصل "كاتبها" إلى ما يبتغى، مهما تفاقمت المحسوبية، وأغلق الباب على الموهوبين!!

وقال فتح الله لعبدو:

– والله عندك حق يا عبدو يا خويا..!

قال ذلك فى حالة تسليم "تقطع القلب".

ولعل الضجة التى أثارها كتاب الدكتور محمد محمود المغازى عن قصص فتح الله الزاخرة بالملائكة والشياطين.. قد حركت ضد المؤلف جماعة من حملة الفكر الذى يطلق قنابل التحريم "كما المدفعية التى تسبق زحف المشاة" هجومهم.. لفت نظر من يقلبون المسائل على وجوهها العلمية.. فإقترح أحدهم، بأن يساهم أصدقاء "فتح الله" لنشر أولى كتبه.

الأصدقاء طنشوا، فتبرعت "منال الدغيدى" بإسورتها الذهب، باعتها وقدمت ثمنها لمطبعة الرمل. وأمام هذا التصرف

الرومانتيكى من منال الدغيدى تغاضى فتح الله عن إنها طويلة "أطول منه بشبر ونصف" ومتوسطة الجمال، ولا تليق إلا فى ملابس الصبيان.. وتقدم لخطبتها..

وعلى أثر ذلك تم تحديد يوم الزفاف بيوم صدور المجموعة القصصية

ومنال كان لديها شقة بالهانوفيل على الطريق العمومى المقطوع من المارة، تسكنها أمها، التى عزمت بان تربى لها الأولاد.. فى حالة إلتحاقها بعمل، وإنجابهم!

ومؤكد أن كل شاب وشابة يعرفون ماذا يحدث بعد الحب الرومانتيكى من تغيرات وتبدلات، لكن شلة أصدقاء فتح الله كان يغنيهم من هذا الأمر، ذلك الكتاب الذى سيحدث إنقلاباً هائلاً فى نوع وجوهر القصة القصيرة بالإسكندرية ومصر والوطن العربى، ذلك الإنقلاب الذى سينطلق تحديداً من مقهى البنور..!

وتشاء الصدف، بأن المراجع لكمبيوتر المطبعة.. يتعرف على منال الدغيدى، ويعلم بتضحياتها الجسيمة، إذ تنازلت عن أثمن شئ تملكه.. إسورتها الذهب.. فأشار بأن "المجموعة القصصية تصدر عن دار منال للطبع والنشر بالإسكندرية" من سيدقق إن كانت الدار.. قائمة أم لا..؟!

وفور صدور الكتاب تم توزيع نسخ مجانية على معظم النقاد فى الإسكندرية والقاهرة.. إذ تصادف إقامة مهرجان أدباء الأقاليم بالإسكندرية.. وكان أصدقاء فتح الله يتصفحون الصحف، والدوريات الأدبية، ويفتشون فى سطور الأعمدة، وعرض الكتب، فلا يعثرون على أى أثر أو إنطباع، ولو خبر عن مجموعة قصص فتح الله..

اللهم خبراً صغيراً ورد فى "أخبار الأدب" أشار بأن دار نشر جديدة بالإسكندرية تسمى "دار منال". نشرت أولى كتبها.. وتليفون الدار رقم كذا "وهو تليفون المقهى"

ومنال كانت قد حملت فتح الله حملاً لتحبسه فى شـــقة العجمى، عقب عقد القران، ولمدة أسبوع.. أطلقت منال على هذا الإسبوع، أسبوع العسل الأسود، وأطلق عليه فتح الله أســـبوع "الحبس قشلاق". وعلق الأصدقاء بأنه "دلع". يبعد عنهما العيــن المستديرة!!

بدأ رنين التليفون رقم كذا بمقهى البنور.. وعشرات من الأدباء والصحافيين الشبان، والكتــاب الجــدد، ينوهــون عــن أنفسهم، ويرغبون فى معرفة "شروط النشر بدار منــال، ومنــال تفتق ذهنها عن شروط مقبولة نوعاً.. يقوم فيها المؤلف بدفـــع معظم تكلفة كتابه، يشترى بما يدفعه نسخاً."

وكان عم عبد العزيز الجرسون هو الـــذى يــرد علـــى التليفون.. يرفع السماعة ويقول:

– آلو.. دار منال للنشر والتوزيع.. أفندم

ويحيل المتكلم إلى صاحبة الدار منوهاً أن الدار لمـــدام "منال" قرينة الكاتب الكبير "فتح الله عبده فتح الله.." أى خدمة؟!

ثم يعلن بأن الدار عزمت على نشر عشرات الكتب..

"وأسفرت اللعبة عن ظهور ناشرة تعــرف كيــف تتعــامل مــع المطابع.. وفتح الله ليس له فى الأعمال التجارية"

فجأة بدأت الأعمدة والصحف الأدبية، والدوريات، تذكر قصص فتح الله بالخير "وتكتب ملخصـــات وتنويهــات وأخبــار عنها" بما يعنى "شيلنى وأشيلك"

وعم عبد العزيز الجرسون إحتفظ لنفسه بهذا الســـر.. ولم يبلغ فتح الله بما حدث حوله..

"حتى يستمر فتح الله معتقداً.. أن براعته فـــى القــص وغرائب مواضيعه.. أرغمت النقاد أخيراً على الإلتفــات إليــه.. عنوة.."!

(٨)
من علامة التعجب
إلى علامة الإستفهام

□ لما ضحت منال الدغيدى بإسورتها الذهب لإصدار أول مجموعة قصصية لفتح الله عبده فتح الله.. الموقف الرومانسي، أرغم فتح الله على أن يتأمله..

وقتها كان فتح الله قد تجاوز الثلاثين بعامين أو ثلاثة ولعله كان يفكر فى الزواج، عندما كتب عن تلك الفتاة الهيفاء ذات الأثداء البناتى، والتى ترتدى ملابس الصبيان..

وإنتقلت منال فجأة إلى ذلك الثوب الحريرى الروز.. مع حزام عريض فى الخصر.. وشعرها القصير "لجرسون" فرأى فيها فتاة باريسية مناضلة من بنات المقاومة الباريسية، تقاوم قوات النازي التى إحتلت باريس فى ست ساعات!

وقدم فتح الله تلك الفتاة بأسماء مختلفة فى أكثر من عمل قصصى. رومانسية، حالمة، رقيقة، ناعمة تعشق السياسيين، وكلامهم الغامض، فى إجتماعتهم السرية المشوبة بالأخطار، وتحليلاتهم المختصرة، المكثفة، والتى تشبه الكلمات المأثورة، لتستقر فى الأذهان عمراً مديداً.

لم يكن خافياً علينا، أن المقصودة بكل هذه الكتابات هى منال الدغيدى.. والتى كانت نحيفة، ومستقيمة كعلامة التعجب..

وصارت عقب الزواج كعلامة الإستفهام.. تعانى من الدوخة.. ونفسها تقب عليها إذا شمت رائحة دخان السجائر،

وتصر أن يغسل فتح الله رجليه "وطقاطيق السجائر" وأسنانه..عدة مرات، وبعد كل مرة تقول:
- "إفيبيه شامة رائحة حاجة وحشة"
وبدأت تطلب فواكه في غير أوانها تفسى في البلح الزغلول يا توحه.. يقول حاضر" وهو يعلم بأن لا بلح زغلول أحمر مزنهر في شهر يوليو.. وعليها أن تنتظر إلى شهرها السابع حتى تأكله..
ولما كان فتح الله يقترب منها كثيراً.. كانت تدير وجهها بعيداً.. وتقول:
-"إبعد عنى بقا.. المولود يطلع شبهك.."
يرد عليها ضاحكاً :
"ما هو برضه لو طلع شبهك يبقى مشكلة"

ومع كل أوجاع الحمل ومشاكله كانت منال بحجمها الجديد، تصر بأن تحضر إجتماعات المقهى، ودخان السجائر يختلط بحروف الكلام.. وفتح الله يتبوأ دور الناقد لأعمال الشباب التى لم تتضح معالمها بعد.. يسلى نفسه.. وينتهز الفرصة، وهو يعلق على قصص ليست لها معالم فيقول:
-على فكرة بعد الحب الرومانتيكى لا نجد رومانتيكية ولا ديالو..

ومقهى البنور يعج بالحبيبة.. دائماً فتاة مع فتى والشائع، إحترام تلك الخصوصية، لنضرب لأنفسنا المثل بأننا كما أوربا.. يمكن لأى فتى وفتاة أن يمارسا الغرام عينى عينك، بدون أن يتدخل أحد، إلا في حالة الإستغاثة..
ففى حالة الإستغاثة، الفتاة تضرب الفتى بصفعه على وجهه لما يزود العيار، الصفعة تفرقع كبالونة طرشقت، ويتبقى من المشهد فتاة تنصرف غاضبة، وفتى يضع كف يده على خده

وينظر فى إتجاه باب المقهى مذهولاً، ولا أحد يندهـش إذا مـا شاهدهما -هما أنفسهما- يجلسان معاً فى اليوم التالى، على أتم إتفاق وإندماج..

لذا فقد نظر فتح الله نحو "عادل وسناء" ولهمـا نفـس المواصفات، لكنهما سيتحملاه، فهما من أفراد شلتنا.. وقال:

-يا عادل.. إنت ستتمسكن حتى تتمكن.. الحب يطلع بك إلى السماء فتكتب عن الملائكة، ثم ينزل بك إلـى سـابع أرض فتكتب عن الشياطين، أولاد الأبالسة.. ومـع دوران إسـطوانات الغزل التى تجعلنا نتحمل بؤس الحياة.. ستصل إلى هدفك.

هنا ينظر فتح الله إلى سناء ليقول لها:

- لمؤاخذه يا سناء.. قصدى بعد مـا تلعبـوا لعبـة العروسـة والعريس فى أوضة متربسة من الداخل..

"يعود إلى عادل"

- حبيبتك يا عدولة سوف تنتفخ كبالون، وعينيهـا تحلـق بالكلف، ويبقى شكلها ملخبط كما لوحات بيكاسو التـى رسـمها تحت تأثير الحرب الأهلية الأسبانية..!

سناء تضحك، ومنال تبدو إنها تزداد إنتفاخاً وإحتقاناً.. وفتح الله يطلق ضحكاته التى تنير وجهه باللمبات الفلورسـنت وبطريقة المحامى الفهلوى ينثنى إلى موضوع آخر، حتى تهـدأ منال، وتكف عن الحركات العصبية التى تسيطر عليها بصعوبـة يعود ويقول:

-أصل الإنسان خلـق لكـى يزهـق وينفـخ الهـواء ويستغفر.. وإنتشار تدخين السجائر يعطى للإنسـان فرصـه أن يزهق وينفخ ولا يستغفر.. ولما الإنسان كان فى السماء.. نـزل إلى الأرض.. وهو فى الأرض يحلم بالسماء،طب م كـان قـاعد هناك كافى خيره شره..؟!

أميل على أذن فتح الله وأهمس:

– خف تعوم يا أستاذ.. منال لماك فى بيت أمهـــا فـــى العجمى.. يظهر إشتقت لنومة القهوة.. لا تنس انهـــا صاحبـــة وظيفة فى التربية والتعليم.. وهى صاحبة دار النشر التى..

أرغمه على السكوت ومعالجة ما أصابـــه بـــالإضطراب والفوضى..!

تتساند منال على مسند مقعد أمامهـــا وتقـــوم، تنصـــب طولها بصعوبة.. أكتم ضحكتى. بالفعل منـــال صـــارت كعلامـــة الإستفهام، بعدما كانت كعلامة التعجب.. تشبيه فتـــح اللـــه فـــى محله.. لكننى لاحظت بأن فتح الله حملق فيهـــا.. كـــان بيـــاض عينيه فى وجهه الأسمر الغامق كمصباحين مضيئيـــن فـــى ليـــل دامس، ولعل منال إعتادت قراءة عينيه، وفك شفرات رســـائله.. فقد عادت وجلست مكانها وأجلت الإنصراف حتى ينتهى.

ضحك فتح الله وقال:

–الزوجة التى تزوجت بكاتب.. يجب أن تسلم بأن لازم للكـــاتب وحى وإلهام..!

ونظرت البنت سناء فى عيون حبيبهـــا عـــادل فبادلهـــا عادل الإبتسامة بأوسع منها..

لابد وأن عادل رأى سناء رشيقة جداً كعلامة التعجـــب.. ويتمنى أن يوفق ويستجاب طلب واحد مـــن طلبـــات التوظـــف "العديدة التى يقدمها" حتى يتمكن من تحويل سناء إلـــى علامـــة إستفهام..

سناء تقول لعادل بدون مناسبة:

– طيب ما الأستاذ فتح الله متعطل يا عدولة.. من يـــوم ما رجع من عند الفراعنة.. ولا قضية عرضت عليه؟!

(٩)
إن بعد الظن إتهام!

▭ ..الوحى لأى كاتب "مقدور عليه" إذا مـــا شـــغل الكـــاتب الحصيف بنات أفكاره.. بنت وراء بنت، فمن حسن حظ الكتـــاب أصحاب الأخيلة، أن ربنا جعل لهم الإلهام فى "الجنس". الذى هو كما البسبوسة، ناعماً.. يؤكل مثـــل المهلبيـــة زلطـــاً.. وبـــدون إستخدام الأسنان!

لماذا يفضل بعض الكتاب المهابيل، الخوض فى المواقف السياسية فى ذلك الوقت الحرج بالذات، وإسقاط كل التلميحـــات على رأس حكامنا الأفاضل، وهم فى الواقـــع يعملـــون مـــا فـــى وسعهم لتجنب شعوبهم الكارثة التى "خلاص" نازلة على رؤوس العرب المسلمين، والدنيا بأركانها الأربع، صارت تعـــرف أنهـــا "الحرب الصليبية" قادمة لا محالة، يعاد فتح ملفها مجدداً.. فقـــد بدأت بالنعرة الدينيـــة، وغرضهـــا الأساســـى حـــل المشـــكلات الإجتماعية الأوروبية"

وهى مشكلات إقتصادية بحتة، كما المشكلات القديمـــة، تتأسس على تثبيت الناس الذين فوق.. فوق خالص، والنـــاس الذين تحت.. تحت خالص، وثمة كوارث من هذا النوع، تكـــون واضحه وضوح الشمس.. لكن يكون من الأفضل، وضع نظـــارة سوداء على العيون، حتى لا تدفع زعيم عربى.. هنا أو هنـــاك، بإتخاذ خطوة عنترية.. فتقوم قوى "الخير الملائكية" فـــى العـــالم الغربى، على الشمال.. بتفريغ سخطها على رأس عنتر، وكســـر شوكته وسيفه الخشبى.. تحت مقولة

"إضرب المربوط يخاف السائب، أو إضرب الضعيف يخاف الذى

عنده إمكانيات للمقاومة والمقاوحه.."

والمشكلة التى يكون لها أكثر من وجه، يمكـن للكـاتب الحصيف أن يوجه "وجهه هو بالذات" إلى الوجه المسالم الـذى يتعرف على تفاصيله، وملامحه الطيبة.. كى ينقل نفسه دوماً من خانة الأشرار السود.. إلى خانة الملائكة البيض.. مع نشر شئ من ضباب الحداثة، حول كل ما يضطر أن يفصح بـه، حتـى لا يكون محل شك، أو توجس..

الخوف الخوف.. أن يأتى يوم الحساب، لكن البنـى آدم خلق مناكفاً. وهذا ما يدفـع الثوابـت بـأن تتحلـل، فيحـدث التطور...!

..وحتى إسطوانات الغزل والحب وما يدور حول العشق، تلك الطاقة التى تقود العالم من الفضيلة إلى الرذيلة وبالعكس.. الطريق اليهما واحد، والتشـعب يحـدث قبيـل النهايـة بعـدة ملليمترات!

..إسطوانات الحب هذه لإثبات المواقف ولفت الأنظار.. أحياناً تكون مكلبشة فى دماغ المضروبيـن بـالإبداع. تجعلهـم يكذبوا.. ويكذبوا.. حتى أنهم يصدقوا.. بل يؤمنوا، بأن كل مـا يقولونه، حدث لهم بالفعل، ومروا به مروراً عصيباً "يستحق أن تسجل وقائعه، التى هى فى الأصل خيالية. وقد يـرى الأدبـاء" -لابد أن يكون أديباً حتى يتعامل مع الخيال بحرية- إنهم للآن.. حبّيبة ومناضلون.. كما حبيبة ومناضلى الزمن الماضى..!

وللتنويه "كل حاضر.. يعتبر الماضى أفضل" وذلك يتـم على مدى الألف وأربعمائة سنة الماضية.. إذ أن المـاضى قبـل الإسلام.. كان جاهليـة.. والمـاضى قبـل المسـيحية، زيـغ.. والماضى قبل اليهودية، وثنية..

لكن الحقيقة المؤكدة.. أن الحب عالم، ليس له عولمة، والنضال.. نضال لا يعترف بالزمن، طالما القضية قائمة. والمشكلة لم تحل، وحتى حل الإتحاد السوفيتى لم يحدث لأنه

وصل إلى مبتغاه، وقام بحل قضية العدالة الإجتماعيـــة هنـــاك، والعولمة لم تأت بحل لقضية العدالة الإجتماعية لذا فإن بمجـــرد أن تذهب خضة الناس مما يحـــدث فـــى التداعيـــات الســـريعة المفاجئة.. سوف تحدث المقاومة.. ويعتنـــق النـــاس الكفـــاح.. وتفرز الشعوب زعماء جدد، أشد صلابة وقوة مـــن الحـــاليين. والمسألة لن تنحصر فى الكلام "بأن يؤكد زعيـــم بأنـــه زعيـــم، فيصير زعيماً للعالم" يدعى بأنه يناهض الإستبداد وهو مســـتبد أعظم.. ذلك كله سينكشف سريعاً.. فلدى الناس كم هـــائل مـــن الخبث والدهاء!

وحتى يجرب المستبد إخلاص الناس له، بدون الوقوف عند أصل التفكير، إن كان علمانياً، أو أســـطورياً، أو خرافيـــاً.. أعلن المستبد بأنه شاف ملاك نزل من الســـماء.. أبيـــض فـــى أبيض، يشبه غلام أشهب من بتوع الشـــمال الـــنروجيين علـــى أساس أنه لا يوجد ملائكة صفر، أو زنوج.. مـــن بتـــوع آســـيا وأفريقيا. وأن هذا الملاك جاء له بصفحة نورانية، مكتوب عليها "إنت صرت زعيماً للعالم الأوحد "يا إسمك ايه ؟!" ومن مصلحـــة العالم الحالى أن لا تظهر بجانبك زعامة تقاسمك مـــا عهـــد بـــه الرب لك.. إذهب، أنه زمن عولمتك"

طبعاً أناس كثيرون فى العالم. بالمليارات، يحبوا يعيشوا فى سلام، ومشغولين ببناء حياتهم على مراحل محسوبة.. وكـــل واحد سيعتمد على الآخرين لكشف كذب وإدعاء ذلك الزعيم الذى صدق نفسه، وصار يشكل العالم كما يريد، يشـــكله مـــن دفـــتر قديم.. كل ما كتب فيه مكتوب قبل ما ينزل الملاك الأبيض عليه، وقبل تنصيبه "الزعيم الأوحد.." بسنوات!

وشلتنا، مثل كل الشلل. تبـــدو متماســـكة. تقلـــب فـــى الموضوع بتمهل، دون أن يظهر على تصرفاتنا أى نـــوع مـــن أنواع العصبية.

كأى سياسى خطير، حين يتم ضبطه متلبســـاً بمخالفـــة

تعليمات الطاغية، وزبانيته، لابد وأن يوحى لهم بأنه يعيش فى حاله، ولا يفكر إلا فى مآله.. وكل ما فعله أنه تكلم كلام دنيا، بين أربعة جدران.. يا دوب طافت الأحلام فى دماغــــه، أن يســتيقظ الناس من غفوتهم..

وقد تبين بأن الطغاه.. طغاه ليس لقوتهم المحدودة.. بل لضعف الناس أمامهم، وإنهزامهم.. كـــل هزيمـــة مــن النـــاس للطغاه..

"يعنى كلام مبعثر فى الذهن"، قلناه، كأننا نكلـــم أنفســنا كلام يقال أخطر منه فى المواصلات العامة، والمقــاهى العامـــة، وطوابير الجمعيات التى تحولت إلى سوبر ماركـــات.. وطوابـــير صارفى المعاش القانونى والمبكر..

لكن إذا وقعت الواقعة فإن التمسك بحالة الإنكار.. تكون أفضل للمتهم.. فهو محبوس.. محبوس.. لماذا يجعلهم يحبسونه وضميرهم مستريح.. فليحبسونه ظلماً، ويشعرون "ولـــو علـــى خفيف" بتبكيت الضمير.. هم يعلمون بأننا ننكر ذلـــك التفويـــض الإلهى المدعوم بالقوة المسلحة الهائلة.. وذلك الإنفاق البـــاهظ الذى يزيد أحياناً عما يمكن أن يعود بــــه.. ننكـــر التفويضـــات الإلهية أن تعطى لملياردير.. له أسهم وسندات هائلة فى شركات البترول العالمية.. بأن ملاك أبيض فى أبيض قدم لـــــه اللائحـــة النورانية، فى البيت الأشهب فى أشهب، بأنه إذا ما فــــرغ مـــن وضع يده على بترول بحر قزوين، يســـارع ويضـــرب العـــراق لوضع يده "بالمرة" على بترول الخليج.. وبذلـــك تكـــون "طاقـــة العالم" تحت يده الكريمة.. فلا يستفيد الإرهابيون أصحاب العمائم واللحى المرسلة، بفتفوتة طاقة.. فيخرون صرعى فى مخــــابئهم التى لا تطولهم فيها الأباتشى،والإف ١٦،وصواريخ كروز..

وقال له الملاك الأبيض فى أبيض

– هيا يا زعيم.. قسم العالم إلى ملائكة وشياطين.. زمان كـــــان التقسيم إلى مؤمنين وكفار.. كل شئ حولك الآن يجعلـــك نبـــى

- أخفس بالمسلمين الأرض "لقولهم أن محمدهم آخر الأنبيـــاء" سلط عليهم الصهاينة الليكود، و..

"الذى يتكلم هو فتح الله عبده فتح الله المحامى" الــذى صار يكتب القصص المدهشة، وأحيانـــا يلعـب دور النـــاقد أو المحاضر، وفى معظم الأحيان يكلم نفسه..!

الآن هدأ.. وراح يحملق فى وجوه أفراد الشلة.. ولعلــه هدأ بالفعل.. إذ هز رأسه. وكتفه الشمال ومط شفتيه وقلب يــده أمامه وقال:

- ما بكم لا تنطقون.. هل تخافون.. لقد بدأت مقاومة العولمـــة فى عقر دارها.. فى أوروبا.. وسقط أولى قتلاها بالرصاص..

لم يعلق أحد.. نظر إلى صديقه عبـــدو.. فـأدار عبـدو وجهه بعيداً.. قال فتح الله ليهون الأمر:

- يا جماعة، من سيهتم بما يقال فى مقهى صغير قدام البحـــر.. ما بين المنشية ومحطة الرمل؟!

صمت قليلاً ثم قال:

- هيا.. تكلموا على راحتكم.. لا تخافوا..

لم يكن قد اكمل جملته:

واذا بحالة هرج فى المقهى، وشارع الكورنيش. وصوت كوابح السيارات يعلو ويتعدد.

ظننت أن حادثة مرورية وقعت كالعادة، لكـــن هالنـــا أن حاملة طائرات تظهر فى الميناء الشرقية، وصـــوت الميكرفـــون العملاق ينادى..

"ضبطناكم يا إرهابيين يا أولاد الكلب.. لا أحد يتحرك من مكانه. خصوصاً الجماعة القاعدين وراء العمـــود التخيـــن فـــى مقهى البنور.. سمعنا كل حاجة.. كلمة.. كلمة.. ضعوا أيـــاديكم على الترابيزة الرخام قدامكم. دون حركة.. وإلا أطلقنا صواريخ كروز ودمرنا القهوة عليكم، وعلى من يتشددون لكم..

فاهمين؟!

هيا غادروا القهوة.. وتراصوا على الرصيف.. رافعين أيـــاديكم
فوق رؤوسكم، لو ضبطنا فى أيـــاديكم ولـــو حجـــارة صغـــيرة
حاكمناكم كمجرمى حرب!!

(١٠)
إنهم لا يعدمون حيلة

..أنا وصديقى فتح الله عبده فتح الله..الذى كان محاميـــا.. وصار كاتباً قصصياً ينافس محمد حافظ رجـب، وأحمـد حـافظ رجب، وعلى حافظ رجب، وعبدالله حافظ رجب، وجـابر حـافظ رجب، وزكريا حافظ رجب.. وجميع المنتفعين بالإسكندرية مـن القصص الثلاثين الذى كتبها الولد الفلتة بـائع التسـالى علـى رصيف سينما فريال بعد مشاهدته للمناظر العفاريتى التى تسبق الفيلم العربى فى سينما العائلات، التـى تقـع مباشـرة خلـف "البنيكة"، وأمامها، محطة الرمل، أيام الـترام أم دوريـن مـن الخشب الأرو والسويدى.. يعنى أيام زمان.. فأثـارت القصـص الكرتونية، ضجة بين النقاد وكتاب القصة "إذ أن القراء إتخـذوا موقفاً محايداً من ذلك التجديد غير المفهوم لهم بالمرة" جاء ذلك فى وقت حدثت فيه النكسة، والناس فىّ حالة إنقلاب علـى كـل شئ، وفى ظنهم أن القصص العاقلة هى سبب المصيبـة! وهـى التى تسببت فى ضربة الطيران!

ومع أن صديقى فتح الله عبده فتح الله يكتب قصصـاً زاخرة بالوعى المقهور، وقهر الوعى.. إلا أن حظه الزفت خالص جاء فى عالم القطب الواحد، أبو علم مخطط أزرق أحمر وأكـثر من خمسين نجمة..

لذا فقد إنكتم كتمة المدمس، وهو بيننا فى مقهى البنور، وراح يحتسى القهوة بدون صوت مسموع.!

وكانت بعض "الدوريات" قد نشرت لفتح الله عدداً مـن القصص، وقام الدكتور المغازى بالجامعة بكتابة عدة مقالات عن

قصص فتح الله.. كتاب الدكتور المغازى نشر فى لبنان، بينما قصص فتح الله نشرت على الماستر فى مطبعة الرمل للأخاء والمحبة.. ومعظم القصص التى نشرت لأخونا فتح الله لم يحصل على أى مكافأة عنها.. مما شكل عليه ضغطاً إقتصادياً.. ولولا أن فتح الله.. ضارب الدنيا صرمة لكان طق من جنبه "فيما يقال ذنبه على جنبه" وقد كف عن قبول بعض القضايا الجنح والمخالفات، وإصطحاب المتهمين إلى النيابات وأقسام البوليس. ذلك حدث له منذ إحتفت به جامعة الاسكندرية "كلية الآداب بالذات" لما الدكتور محمد محمود المغازى تسلم أولى نسخ كتابه النقدى عنه، وفيه رفعه إلى مصاف كتاب أمريكا اللاتينية.. وإفريقيا الغربية. ولعل الدكتور الناقد لو رفعه إلى مصاف الكتاب المصريين، كان أصحاب الصحف الأدبية.. فهموا وتعاملوا مع صديقى!

ولم يعد فتح الله يفسر لى لماذا ترك عمله الذى يأكل منه عيشاً.. ليأكل عيشاً من عرق الشباب الذى يحيط به. أو على نوتة عم عبد العزيز" الجرسون الطيب" الذى يعتبر فتح الله إبنه البكرى!

فى ظنى، أن فتح الله "الكتوم" حدث له ما يمنعه من الوقوف أمام القضاء أو النيابة وضباط الشرطة.. وهو يخفى عنى الأسباب المحرجة، كعادته.. كما كان يخفى عنى أسباب تغيبه بالأسابيع عن حضوره إلى المقهى، والجلوس على الترابيزة المعهودة.. التى تبقى خالية تماماً لا يجلس عليها أحد حتى يحضر فتح الله، ويحط عليها، فتحيط به الشلة كالسوار فى المعصم.

ومن المعلوم أن أنا وفتح الله، لا عمرنا لعبنا طاولة، ولا عمرنا قعدنا قدام المقهى نبصبص على النسوان الماشيين يتغندروا على رصيف الكورنيش، وخاصة فى أيام الصيف التى لا تطيق الهدوم على الأبدان.. وإن طاقت فهى هدوم خفيفة،

حريرية، تجسم المستور.. وتكون على الموضة جداً.. تؤكد للمشاهد أن من تلبسها ليست من "بتوع الآخرة بس" لكن لها فى الدنيا الغرورة، التى لا تجعل الراكب راكباً، ولا الماشى ماشياً..

ومن المؤكد "خاصة عند الناس الذين شغلتهم حفظ الأمن العام من أى دوشة" إعتبارى مع فتح الله عبده فتح الله، إننا سياسيان.. لكن فى كل مرة يتم "تعليق" فتح الله.. ولا مرة تم تعليقى معه حتى بات المسكين يظن بى الظنون، التى تفرسنى "لماذا لا يظن أنى متسلط عليه ورجلى تروح وتجئ فى شارع الفراعنة؟"

وفتح الله، عنده حق، أن يظن بى الظنون السيئة فهو يتحدث معى شخصياً عن أشياء معينة، يعتبرها غاية فى السرية.. وعندما "يعلقونه" ويذهبون به إلى مبناهم الرابض بين غابة من الأشجار المورقة، هناك يسمعونه ما قاله لى بالحرف الواحد "المسكين ينزعج ويحط فى نفسه" وأنا من جهتى لا أخون صاحبى ولو على رقبتى!

كما أننى إعتدت إذا ما قال لى شيئاً ولو تافهاً، خشية أن يكون هذا الشئ يهم "أمن الدولة" كنت أسمع بالشمال وأصرف ما سمعته من أذنى باليمين، ولا كأنى سمعت "حاجة" منه.. وفتح الله عادة ما يتكلم كلام دنيا..

وكنا فى هذه المرحلة التى نصارع فيها الفكر الأصولى "أقصد اللافكر" على إعتبار أن أى فكر، يعنى علمانية، وعلماء محكوم عليهم بالسقوط، حتى واللافكر الأصولى يتضامن مع الإمبريالية لمحو الشيوعية، وبعدها يتم إنقلاب الإمبريالية على اللافكر.. وإعتبار أصحابه، إرهابيين عالميين.. كنت فى هذه الأحوال أفضل المشى بجانب الجدران.. وأفضل عقد لسانى فى حلقى، ولا يبقى لى من الحلق إلا خرم صغير أتنفس منه وأحمد الله على كتمة النفس.. حتى أبعد نفسى عن الخوتة وذلك الألم الفظيع الذى يجتاحنى لظن صاحبى بأنى أخونه!

الإيمانات العظمى المغلظة، بكل المقدسات، أقسمت بهـا أمام صديقى فتح الله لإستعادة ثقته بى.. وصداقتنـا الوطيـدة الممتدة.. والتى كانت مفتوحة على البهلى.. منذ كان يجلسنى أمامه، ويفتح لى قلبه، أفتش فيه، وأتنصت بدون قيد أو شـرط على دقاته!

لقد صار فتح الله ينكتم ويسنكر فمـه إذا مـا جلسـت أمامه.. أراه لا يتكلم حتى مع حضـور الآخريـن.. فقـط ينكـش الآخرين بالإشارة ليتكلموا.. وهو ينظر نحوى من تحت لتحـت، على إعتبار أن الصمت الذى لاذ به سوف يفسد علـىّ عملـى المباحثى..!

إنه لا يعرف كيف يكون حجم الألم الذى أشعر به وأنـا أرى صديق العمر يتشكك ويستريب منى، وهو فى حياتى يـأتى فى المقدمة، دون كل الأصدقاء والمعارف والصحاب.. لقد كـان ذلك شديد القسوة على نفسيتى، ينخر بداخلى بالألم الممض.

وفى كتاب "الدولة البوليسية" -المنشـور فـى لبنـان لسياسى مصرى عجوز- وجدت فصلاً كاملاً.. كتبه المؤلف عنى وعن صديقى فتح الله.. مع أننا لم نتقابل مطلقاً مع الكاتب، لكنه بين فيه، كيف يتمكن البوليس أن يوقع بين الأصدقاء والرفقـاء الحميميين بأن يلقى القبض على فتح الله ويترك عبد الفتـاح.. فتفسد بينهم الثقة.. وبأن يحصل على نفس المعلومات التى تقال لعبد الفتاح من فتح الله ويستثمرها، وأشار الكاتب الحصيف إلى عشرات الوسائل للحصول علـى أسـرار الأصدقـاء، فـأجهزة التنصت.. صارت متنوعة، وفى غاية الدقـة، إذ يمكـن إلتقـاط الأحاديث على مبعدة أمتار عديدة، وبوضـوح كـامل، كمـا أن الميكروفونات صارت دقيقة جداً كحبة الفول السودانى!

سارعت وقدمت المكتوب لصديقى فتح الله، ولما وجدت تقاعساً منه، قرأت كلام السياسى، ووضحته، ومع أننـى أثـرت القليل من إهتمام فتح الله.. مما جعله يقرأ الموضوع بنفسه..

فقد إبتسم فى وجهى وهز رأسه مـــراراً ولـــم يطـــق شـــفاهة، إبتسامته، وهزة رأسه قالت لى:

– حتى لو أحضرت لى المؤلف نفسه، فأنـــا لـــن أتكلـــم بشـــئ أمامك.. أنت تاعب نفسك ليه؟! لماذا تريدنى أتكلم؟ تود أن تقدم لهم عملاً؟! آه؟!

حاولت إستعادة صديقى بكثير مـــن التجمـــل بـــالصبر أرغمته على أن يرد علىّ بالصوت الحيانى، وإلا لن يرى وجهى مطلقاً فى مقهى البنور.. قال:

– إسمع بقى يا عبدو.. حتى أحتفظ بك.. نحن أصدقاء صورة.. لا صوت.. طلعنى من دماغك!!

فيما يبدو، أجهزتهم الدقيقة لم تعد تحمل لهم شيئاً اللهم توسلاتى له أن يتكلم معى، ويثق بى، لابد وأنهم سمعوا كل شئ وحللوه.. فقد تعمد رجل من رجالهم أن يتقـــدم مـــن ترابيزتنـــا، وينزع من تحتها ميكرفوناً صغيراً حساساً.. هكذا جهاراً.. نهاراً.. وأمام بصر وإندهاش فتح الله، وذهولى وعدم إهتمام مجموعـــة الشباب.. !

وتأكد لفتح الله أن الموصلاتى هو ذلك الجهاز الدقيـــق وليـــس صاحبه الوفى..

بعدها بدأ فتح الله ينطلق ويتكلم عادى.. بل كمن أوقف التدخين وعاد إليه.. بشراهة.. وأنا وهو.. لم نلحـــظ أن رخـــام الترابيزة قد تم إستبداله.. ولديهم كثـــير مـــن الحيـــل التـــى لا يعدمونها.. أنه عملهم الذى يطورونه ويبرعون فيه.. والمشكلة ليست فيما يحصلون عليه.. المشكلة فى أن ما يحصلون عليـــه عادى فى نظرنا.. وغير عادى فى نظرهم.. لابد وأن يكون غير عادى

حتى يبرر نفقاتهم الباهظة!

(١١)
عـــودة الوعى وذهابــــه

..من المؤكد أن المثقفين الذين يعملون بـــالفكر... بصـــورة دائمة... قد توصلوا إلى علامات وإمارات تقوم مقام المقدمات.. يمكن برصدها وتحليلها التنبؤ بما ســـيلحق أو ســـتكون عليــه "المسألة" التى يسلطون عليها أفكارهم وتفكيرهم..!

أنا بنفسي.. جربت.. كيف يؤدى بى التركيز والتفكـــير وتقليب أى "مشكلة" على وجهها.. كيف يمكن أن تخلف عدداً من المقدمات تسطر فى ذهنى، كما تسطر الكلمـــات علـــى شاشـــة الكمبيوتر.. حرفا.. حرفا..

إذ أننى توقعت "يمكن إستخدام تنبأت" أن صديقى فتـــح الله عبده فتح الله.. الذى صار يحلم كثيراً.. وكلما رأى فراشـــة ملونة تحوم، يقول عنها "أنها ملاك صغنن جـــاء مـــن الســـماء ليساعد وينقذ أحلام البنى آدمين الطيبين" لذا فقـــد توقعـــت لـــه طريق من إثنين.. سوف يمضى فى أحدهما حتماً..

إما أن يسلك الطريق الذى سيؤدى بـــه إلـــى "مصحـــة المعمورة النفسية" ليستقر هناك فى عنبر المجانين؛ يهدون حيله بالصدمات الكهربائية التى تتركه سطيحة..

أو سيعود إلى طريقه السابق.. ينثر حوله حزم الوعـــى كمثقف ثورى، يجد لذته فى تكســـير أوامـــر الشـــياطين الذيـــن يتعاملون معه بنعومة الملائكة "وهو فاقسهم"، ولا ترعبه مخالبهم وأنيابهن، عندما يظهرونها لإيقاع الرعب فى قلبه!

ولما وصلت إلى تلك النتيجة.. خيل لى أنى أقوم بلعبة فى معمل؛ وأنتظر صدق تنبؤاتى على الحالة..

وفتح الله الذى كان موقفه يسعدنى أو يشقينى صار بالنسة لـــى كفأر المعمل، أرقب تصرفاته وأنشغل بتحليلها وتصنيفها ولابـــد وأن ألتزم الحياد كعالم، وأسقطه من حسابى كصديق حميم.

وقد رقص قلبى بين ضلوعى، عندما سمعته يتحدث عن البنى آدمين.. تنهد وقال:

- دول كسالى بشكل؟

ورد على نفسه:

- كيف يكونوا مبسوطين من نفسهم لأنهم طيبين جداً؟ ألا يعلموا أن لا فرق كبير بين الطيبة والعبط؟!

آه.. ها هو فتح الله الواعى.. يعود.قلت فـــى نفســى:

الحمد لله.. الآن صديقى العزيز يسلك الطريق الذى سيؤدى إلى إستعادته لدوره القديم.. دور المثقف الذى يشع نـــوراً فيضــئ الطريق لمن حوله.. وهو ليس كفانوس "فقط" مضاء "بل كبانيـــة لتوليد الطاقة" إذ يبدأ يوعى الناس، يعلقـــوه ويعجنـــوه، ويعـــود يوعى الناس فيخبزوه.. ولكن فى كل الأحوال .. الناس ســـتجد أمامها فتح الله كعجون الطازج، تأكله، فيغنيها مـــن الجـــوع.. تأكله، وتحمد الله شكراً..!

وصدق حدسى، إذ قال فتح الله فى شئ من الثقة:

- على فكرة.. لما إنهار حلف وارسو.. الطبيعى الطبيعى أن يتم حل حلف الأطلنطى.. ويتم توفير نفقاته خصوصـــاً أن أعضـــاء حلف الأطلنطى دول أقوياء ولا خطر عليهم من أحد.الضعفاء هم الذين يحتاجون الحلف، ونفقات هذا الحلف ليست هينـــة، أنهـــا تتجاوز ما يحصده الغرب الإمبيرالى من حقول الدول الفقيرة..

لكن عندما لم يحل الناتو.. ظننت بأن وجوده ســـيأتيهم بأضعاف ما ينفقونه، والرأسماليه لابد وأن تحسبها جيـــداً.. وإلا تبدد الرأسمال أونطة، أما وقد تمسك الغرب بوجود حلف الناتو.. وصار يبحث عن عدو جديد بعد إنهيار الشـــيوعية، أخشـــى أن

تكون فكرة بقاء هذا الحلف من أصله.. صهيونية.. وأنـــا أرى أنهم يدفعونه دفعاً ليتصادم بالمسلمين.. والعرب بالذات، وأنا في إعتقادي أن هؤلاء الصهاينة ليسوا يهـــوداً.. اليهـــود يعلمـــون الكثير عن خبايا المراحل التاريخية، وكيف كان اليهـــود دائمـــاً آمنين في أحضان المسلمين، بل أن هناك عادات كثيرة مشـــتركة معاً.. وقد كان من اليهود علماء وأدباء وفنانين وأساتذة وأبطال وتجار عظام.. يقومون بدورهم الإنساني.. كمـــا يحـــدث عنـــد المسلمين والمسيحين..

أما "الصهاينة" وتوجهاتهم سياسية بحتة، فيتناسون بأن المذابح التي حدثت لليهود لم تحدث عنـــد المســـلمين والعـــرب بالذات.. ويعلمون جيداً أنهم آلات في عجلة الإمبريالية.. والإبقاء على حلف الأطلنطي يؤكد عدم قناعة الرأسمالية العالمية بهزيمة الشيوعية تماماً

والرعب قائم من فكرتها الإنسانية التي هـــي "العدالـــة الإجتماعية" وتجارب عظمى باقية.. تحقق إنتصاراتها..

والناتو.. يخشى ما يمور في الصدور أكثر من حـــالات الإستغلال والظلم القائمة على قدم وساق وتحتاج إلـــى حمايـــة عظمى"

"والله برافو عليك يا فتح الله.."

وكانت فرحتي غامرة بعودة صديقي فتح الله إلى طريق الوعي، وذلك الترتيب الذهني الرائع..

نحن الأصدقاء حوله، هنأنا أنفسنا بزوال الحالـــة التـــي تلبسته، عندما كان يؤكد "أنه يلتقي بالملائكة ويتحاور معهـــا.." نقول له:

- الملائكة المذكورة في الكتب المقدسة؟

يؤكد "أنها هي بعينها.."

لكن ما أزعجنا.. حالة الشطط في أحاديثه إذ قال:

- على فكرة الدولة بتاعتنا ليست عبيطة فهـــى رغـم وجـود الأحزاب.. والديمقراطية.. تحتفظ بجهاز لأمـن الدولـة معتـبر -ضـروري يـا فتـح اللـه.. الاعـداء بـالداخل والخـارج يقـول:

- نعم، كف الجهاز عن عمل الفضائح.. لكنه قائم بشغله علـى سنجة عشرة

- جميع الدول يكون لها جهاز لحمايتها.. لسنا نحن المنفردين

- نصف ميزانية هذا الجهاز على ميزانية الأمن المركزي بتـاع شعراوى جمعة يمكن أن يحققا أحلاما كثـيرة للشـباب العـاطل الذى.. والمساكن الذين.. والمصانع التى.. و..

"تدخلنا وقاطعناه.. عطلناه.. فتوقف عـن تدفقـه وراح يمسح جبهته اللامعة بمنديل ورقى.. وعلى الفور ظهر العملاقان الأمنيان.. كانا يمشيان نحونا وقد ركزا بصرهما على "فتح الله" الذى سارع وقام وجنح بذراعيه، فحمـلاه بينهمـا مـن تحـت إبطيه.. وفتح الله قصير ١٥٥ سـم يا دوبك، ووزنـه لا يزيـد عن الستين كيلو.. صار بينهما كحقيبة لها أذنين..

ولأول مرة ألحظ بأنه يضع فى قدميه حـذاءً.. كحـذاء فريد الأطرش.. أبيض على أسود.. وضع الحذاء أمـامى وهـو يلاعب بقدميه كأنه يقود بسكليته.. وقد مر أمامى نحو الباب.

ولا أحد من أفراد الشلة بالمقهى حرك ساكناً.. شـباب وشابات صغار كانوا جميعاً يبتسمون. فقد إعتدنـا بـأن يذهـب فتح الله.. ويأتى بعد أسبوع أو أكثر.. يأتى ولا يتوغـل كثـيراً فيما تراه القوى العالمية والمحلية مناسباً لمصالحها..

(١٢)
خطر الأسئلة المحرجة

"كثرة الأحزان تعلم البكاء علي أصوله" وكثرة "عجن" صديقى فتح الله المحامي القاص.. الأسمر غامق، جعلنى إذا تكلمت فـــى السياسة والعولمة والعمالة، نتكلم خارج المقهى وبعيداً عن أيـــة جدران أو نجف أو مقابض أبواب.. أو مقـــاعد لهـــا قعـــر، أو ترابيزات لها أرجل.. أو حتى بشر لهم إرادات يمكـــن توجيههـــا والإستفادة منها..

والكلام بيننا صار خافتاً وخفيضاً ثم تباطأ حتـــى أضحى هواءاً بدون صوت "مجرد تحريك للشفاة" وبعدهـــا كنـــا نكتفـــى بالإشارات كما الخرس البكم "للأهمية معرفـــة لغـــة الإشـــارات"

وفيما بعد تأكد لى أن لا خطر إذا تكلمنا فـــى السياســـة وتناولناها كأخبار وأنباء ومتابعـــة فتـــح وغلـــق المشـــروعات الإقتصادية، وفتح وغلق الكبارى، وفتح وإنهيار المدارس، وبناء محطات الأتوبيسات والتراماوات بواسطة الشركات التي تستهدف الدعايه والإعلان "مع خصم التكلفة من بند الضرائب كتبرعـــات مضاعفة" إن متابعة هذا النشاط "السياسي" بدون تعليقات تذكر.. لا تمثل خطراً يذكر "لكن الناس تحوطاً هم الذين بثوا في قلبـــي الرعب بطريقة مغالى فيها إذا أنهم كفوا عن الحديث فـــي تلـــك الشئون وإكتفوا بمتابعة اللعبة الحلوة، وأسعار لاعبى كرة القدم، ونتائج الدورى العام، والعالمى في الكرة الفوت، وكـــرة اليـــد، وكرة السلة، والكرة الطائرة، وكرة الريشة وأى كرة فى العالم.. فالكرة تشبة العالم من حيث الشكل، والدنيا كلها تهتـــم بالعـــالم

الكروى "إعتصاما وتحوطا" على إعتبار أنه ليس ببعيد أن ينزلق لسان الشخص بفكرة غير مرغوب فيها، ويأتى بما يعاقب عليه، أحيانا يتم العتاب "بقرصة أذن" أو يترك الشخص الذى يعتقد أن له أهمية "على مقعد" فى طرقه كابية تطل عليها مجموعة من الأبواب المغلقة..

يترك الشخص جالسا فيها لعدة ساعات.. إذا تململ أو حاول أن يتحرك من مكانه يظهر له من يستسمحه "بشخطة" أن يجلس مكانه هادئا، ويقول له:

- "اقعد مكانك من فضلك.. سريعاً ما يفرغ لك الباشا وأدخلك عليه"

ويجبر الشخص المهم علي إبتلاع علقة الإنتظار المملة الطويلة المحفوفة بالهلاوس والضغوط النفسية "وقد سحبوا منك" هويتك فخف وزنك "لعمليات الإنتظار لما سيحدث أهميتها فى أغوار النفس ولردع الجانحين نفسياً"

ودخول الحمام لن يكون كما الخروج منه، فأنت تدخله وعليك طبقات من الأتربه اللاصقه بالدهون التى لا تلحظها "لن نقول شيئاً عن الأفكار التى بالرأس" وتخرج منه متفتح المسام، لا مع البشرة، مسبسب الشعر، ليس فى رأسك إلا حالة من الإنتشاء

إنك بعد كل التهديدات، منحت فرصة جديدة تجعلك تفكر في الطيران إلى بيتك "كمواطن صالح" تسنكر على نفسك باب غرفتك، وتضع رأسك تحت المخدة، وتسحب الغطاء فوقها وتحاول أن تنسى..

وقد تحولت علبتك التى بين أكتافك إلى شئ فارغ، أى صوت يدوى بداخلها بالتحذيرات، ويكون لذلك صدى يبث الرعب فى قلبك.!

ولما تبينت أن الحديث فى السياسة كأنباء وأخبار ومتابعة.. ليس خطراً.. وأن الخطر في التعليقات الساخرة.. والخطر الأكبر يكون في محاولة المواطن أن يعمل فيها "فلة" ومؤمن حقيقي بالتغيير بما يعنى أنه يريد أن يغير الأمور.. ولو بالبحث عن أدوات التغيير "مجرد البحث علي إعتبار أن أيامنا التى يسرقونها هي أغلي ما نملكه" وكثيرون "خدعوا" وظنوا أن الأغلي هى الأشياء التى يقتنوتها، وأن فيها السعادة التى ينشدونها..!

ولما كنت فى حقيقة الأمر شخصاً عادى جداً من الذين يرتعبون، "ويفكرون سنه ولا يخطون قنا"

من هؤلاء الذين يرغبون فى قضاء أيامهم ولياليهم بجوار الجدران، وعلى الأرصفة، بعيداً عن حركة المرور المجنونة، لكن لسوء بختى وحظى الأغبر، وقعنى فى صداقه "فتح الله المحامى القاص الناقد" الذى أجده دائماً في المقهى التى أتوجه إليها مباشرة بعد عودتى من عملي وكما يقال "الإئتلاف فى الإختلاف" فصديقى فتح الله.. عكسى تمام.. حتى أنه لا يتورع أن يتهمنى بالجبن، ويقول: "أن هذه خصله متأصله بداخلى.." وأنا لا أغضب. أسلم بذلك، وأقلب الموضوع الجاد المأسوى على جانبه الآخر الفكاهى الكوميدى قائلاً: "من جبن.. سلم" وصرت "من العادي" أن أفزع وأقوم متعللاً بأى سبب ولو كان الذهاب إلى دورة المياه، والبقاء فيها لأطول وقت ممكن إذا بدأ فتح الله فى إلقاء الأسئلة المربكة لأمثالى.

تلك الأسئله التى لا يجرؤ أحد على توجيهها للملوك والرؤساء العرب.

أنا من جهتي أعطي موافقتي طائعا.. لما يراه أي ملك وأي رئيس وأي شيخ وأي أمير، وكنت أقول:

- وأنت مالك يا أخي خليك في حالك إذ يمكن تعديل الدستور وإلغاء هذا المنصب الذي ثبت بالدورات العديدة أن ليس ثمة ضرورة لنائب وأضيف"ربنا يطيل في عمر الرئيس ولا تحدث "الدربكة" التي يتصورها فتح الله."

وثمة أسئلة أخرى، يلقيها فتح الله، إجابتها ترعبني وتقلقني من نوع البحث في مسالة الإعانات الأمريكية وأهدافها الخفية على إعتبار أن الإمبريالية لا تقدم زكاة عن أموالها التي تمتصها من العالم الثالث ليظل ثالثاً وينزل إلي رابعاً وخامساً.. وكيف تبدد تلك المعونات التي تقيد موقفنا على..

- ياسيدي خلينا في حالنا إعمل معروف

- طيب ما هو دا حالنا.

وأسئلة محرجة أخرى تدور حول المليونيرات في مصر الناميه.. وكيف يتم صناعة مائة مليونير في غمضة عين إذا أن الحكومة تخصص أراضي للإستثمار الأجنبي.. تبيعها بدايه لواحد معرفة.. ومحل ثقة.. المتر بنصف جنيه وهوالسعر الرمزي التشجيعي "ويقوم الشخص المعرفة الثقة بشراء عشرة مليون متر" ليبيعها إلى آخرين "المتر بعشرة جنيهات" فيصير هذا المحظوظ في غمضة عين مليونيراً لمائة مرة إذا سيرتفع رصيده من "ولا حاجة" إلى مائة مليونير. ما عليه إلا أن يتنازل عن نصف الرصيد ويصير مليونير خمسين مرة.. بس

وكما ترون هي أسئلة محرجة التي يقلب فيها صديقي فتح الله وإجابتها أشد حرجا كما أنني أحاول إعاقة سرحات صديقي المصيبه بأن أقول هذا لا يحدث، وإذا حدث أين المستندات الداله على حدوثه؟

- عندك مستندات يافتح الله، إنت محـــامى وقـــانونى، وتعرف قيمة المستندات؟

ولن أستمع أو ألتفت إلى إشاراته المنطقية بأن السـيدة التى إنتفخ بطنها بالحمل لابد وأنها تزوجت ولو في السر..

- المفروض إذا تكلمت عن شئ يا فتح الله يا خويا يكون لديك المستندات الدالة على إتهاماتك، حتى لا تعرض نفسك وتعرضنا للمسائلة.

- لا إنت جبان، جبان، جبان

أنا فى الواقع أتجنب الخوض فى تلك المسائل وفخـــور جداً بأنى من ضمن القاعدة العريضة بتاعة، وإحنا مالنا يا جدع ما يروحوا فى داهيه، مالى أنا إذا كان للرئيس نائب أو ليس له نائب.. عبد الناصر كان له عشرة نواب ماذا فعلوا له؟.. مـــات ونتفوا ريشه.. وحكاية المعونة من المؤكد إنها تساعد مصرنـــا على التنمية.. وحتى لـــو ســاعدت علـــى وجــود عــدد مــن المليونيرات.. .هم أخوات لنا، مصاروه برضه، وبلديات ويجــب أن نحب لهم الخير.. وكفاية نق وقر على خلق الله.

ولما كلمنى فتح الله عن حكومات زمان التى كان "حتــة مقال صحفى" يرغم رئيس وزراءها علـــى الإســتقاله.. وتجــدد الحكومة من أولها إلى آخرها.. بينت له أن الثبات والإســـتقرار فى حكومتنا مطلوب، حتى لو حدثت بعض الكوارث.. المهــم أن يطمئن المستثمر الأجنبـــى أن الثبــات عندنـــا علـــى المبــدأ.. وأبوالهول له آلاف السنين ينظر في إتجاه معين.. هل شكى لأحد أن رقبته تؤلمه، أو دماغه مصدعة؟ إنت مالك يا فتح الله، تريد أن تنظم الكون على مزاجك..

- إنت جبان يا عبد الفتاح

جبان جبان جبان أتركنى في حالى..

فتح الله عكسى تماماً.. زلنطحى.. يستطيع أن يدفع ثمن

وقاحته وعلى قلبه مراوح.. مهمـا يعلقونـه ويكبسـونه فـي صندوق سيارتهم.. يغيب في مقرهم أياما ويعود.. هى أيام قليلة يظل صامتاً يضحك في بلاهة.. ثم ينسى.. ويعود تدريجيـا إلـى نضاله".

من نعم الله علينا.. حاله النسيان.. كل شئ فى الدنيـا يولد صغيراً ويكبر.. إلا الآلام والأحزان، تولد كبيرة ثـم تصغـر وتصغر حتى تتلاشى.

ولما كنت واعياً، ولا أتحدث فى السياسة وأتجنب أسئلة وإجابات أخونا فتح الله "من النوع المحرج للغاية" قلت مرة "وأنا أظن أنني أتناول شأن غير سياسي":

- بيصفونا فى القطاع العام ويخرجونا إلى المعاش المبكر مـع مكافأة لا تقل عن عشرين ألف جنيه وتصل إلى خمسة وثلاثيـن ألفا لمن كانوا فى صدر الشباب، هؤلاء الذين سـيلوصون فـي عالم البطالة. يعطونا المكافأة التى سنعيش بها، أو بريعها البنكى وفوائدها فى وقت صرفها "الدولار يساوي إثنين جنيه.." وإذا ما ركنونا على المعاش المبكر إرتفع سـعر الـدولار إلـى سـتة جنيهات.. أى يتم تخفيض المكافأة التى تسلمناها إلى ثلث قيمتها دفعة واحدة.. هذا حرام.. وهم يعلمون أننا سنعيش عليها بقيـة أعمارنا.. من الأفضـل قبـض المكافـأة بـالدولار، وفوائدهـا بالدولار.. حفاظاً على شيخوختنا من الهوان»

كان ذلك مجرد إقتراح.. فى ظنى أنه كلام غير سياسى، وأنها قضية إجتماعية سببها التضخم السريع وهبوط الجنيه أمام الدولار الذى تسبب فـى تراجـع صناعتنـا وإعتمادنـا علـى صناعتهم. وهم يعتبرون الجنيه عملة سهلة وليست صعبة وهذا الموضوع ليس من نوع نائب الرئيس "أو" يحمـل رأيـاً ضـد العولمة والتبعية.

فقد ظهر العملاقان لأول مرة يتخطيان فتح الله الذى قام وجنح بذراعيه واقفاً ومستعداً لعملية التعليق المعتادة..

ووجدت نفسى أنا المعلق من تحت أكتافى ولأنى سمين إلى حد ما.. وثقيل الوزن.. فقد حطوا بى على الأرض، ودفعونى لأتدحرج أمامهما خارجا من باب مقهى البنور.. إلـــى رصيــف شارع الكورنيش..

وفتح الله يؤكد لهما بالصوت والحركة أن "عبد الفتـــاح دا.. جبان خالص، وموش بتاع سياسة.."

ويصيح فى ظهريهما، وهما لا يعيرانه إلتفاتاً

يصيح ببلاغة المحامى الفصيح:

- ياجماعة أنتما أخذتما الشخص الخطأ..

(١٣)
لقاء مع العقيد الطيب

..زيارتى إلى المبنى الهائل الذى من يدخلـــه لا يمكــن أن ينساه بتاتاً فيما بقى له من أيام حياته
كانت تجربة لهـــا أهميتهـــا فـــى تشـــكيل شـــخصيتى المخضوضة دائماً..

فقد كنت، بينى وبين نفسى،أحسد صديقى "فتـــح اللـــه عبده فتح الله" على إهتمامهم الشديد به، وبما يقوله، أو حتـــى يمهد له دون أن يقول شيئاً. إنهـــم يعـــيرون أقوالـــه وأفعالـــه إهتمامهم الشديد، ولابد وأنهم أنشأوا فى مبناهم هذا.. وعملهـــم هذا، فى ذلك الركن الذى يشغى بالناس المهمين، ركنـــاً خاصـــاً لصديقى فتح الله،حتى وهم فى ملابسهم المدنية "وناس يضربون لناس تعظيم سلام" وسيكون لا شغلة ولا مشغلة لهـــذا الركـــن الخاص، إلا تحركات وأقوال صديقى فتـــح اللـــه، وأى شـــخص سيقترب من فتح الله ولو بطريق الصدفة، سيعملون له "كارتـــة" بها كل شئ عنه من تاريخ مولده، حتى دخوله مقهـــى البنـــور، وجلوسه على ترابيزة "المصيبة" فتح الله المحامى..

ولعلى لا أشك بأنهم أفسدوا عليه عمله فـــى المحامـــاة بطريقة ما.. فهو لم يعد يقبل قضايا، ولو مخالفـــات بســـيطة.. وأفسدوا عليه زواجه من منال الدغيدى.. التى فضلـــت العمـــل بنشر الكتب،ووثقت معرفتها بأحد الممولين ممن وعدوها بشراء مطبعة لنشر الكتب، وجعلها شريكة إذا ما تزوجها.. وقد تزوجت بالممول عقب إجهاضها، وجارى البحث عـــن مطبعـــة قديمـــة للبيع...

وجماعة الركن الخاص،أوقعوا الرعب فى قلوب كثير من أصدقاء فتح الله فابتعدوا عن اللقاء به "فتح الله يعتبر إبتعاد المرعوبين مصلحة له" ويعتبز من يبقون حوله فهم كما أعضاء الأحزاب السرية في عهود الطغيان، عندما يطاردون، فتحدث بينهم التصفية، ويذوب عن جسم الحزب الإنتهازيين، ويبقى به الأعضاء الأكثر صلابة.. فيجمع الحزب خلاصة المناضلين تمهيداً للوصول إلى السلطة، وتنفيذ برنامجه الثورى
"فلا يصل الحزب إلى الحكم أبداً"

زيارتى لهم فى مقرهم "مرت بخير" وقد تحملت كافة التهديدات، وكافة الساعات المملة، وتلك النظرات الفاحصة الغاضبة، والسخط فى قرف.. ثم المحاضرة الطويلة التى يكون فيها الكلام للكلام.. كما الفن للفن، ليس لها من هدف إلا متعة قائلها، والرضا عن نفسه بأنه يؤدى واجبه المنوط به مقابل الأجر والبدلات والمزايا وكل شئ عال وتمام..

ولابد وأن العقيد الذى كان بملابسه المدنية وبين أصابعه مسبحه ثلث صغيرة، حباتها فضية.. كان يستمتع أيما إستمتاع بما يقوله.. كلمات منتقاة سماعى.. فكل ما كان يقوله سيادة العقيد كان يؤكد بأن الرجل لم يفتح كتاباً منذ كان فى كلية الشرطة.. وأن ثقافته إستقاها من التمثليات التلفزيونية الممطوطة، والتى فيها الكلام يقال بعدة طرق، والتليفون يلعب دور الشخصية المحورية.. ويكون على المتكلم أن يتخيل أن شخصاً آخر يكلمه، وهو يرد عليه، فقد رن التليفون عدة مرات، والعقيد تكلم مع عدد من الشخصيات بدون فواصل تسمح للآخر بأن يقول شيئاً مما يؤكد أنه شخصية مهمة لا تعنيها الأطراف الأخرى.

لذا فقد تمسكت بالهدوء والطاعة فهم إذا كانوا يقومون بالتحريات الواجبة لابد وأنهم يعرفون عنى الكثير.. ربما أكثر

مما أعرفه عن نفسي. ولفت نظرى أن السيد العقيد كـــانت لــه لازمة فى حديثه "واخد بالك يا أخ" يقولها دوماً، وأحياناً فى غير محلها،ويستخدمها كفصلة أو علامة تنقيط بين جملـــة وأخـــرى، وعموماً، العقيد إذا لم يجلس على مكتبه، وإذا لم أقـــرأ اللافتـــة المكتوبة بالعربى والأفرنجي على مكتبه، لإعتقدت أنـــه مـــدرس كحيتى فى مدرسة إعدادى مـــن حملـــة بكـــالوريوس الزراعـــة ويدخلونه إحتياطى فى الفصول.. يسكت التلاميذ ويسيطر عليهم بالحكايات تارة، وبما تتضمنه حكاياته مـــن تهديـــدات.. تـــارة أخرى، لكن التلاميـــذ لا يحـــترمون إلا مـــن بيدهـــم رســـوبهم ونجاحهم.

والرجل ظن أنه بعد توعيتي بمحاضرة "المستجدين" فى التوجيه المعنوى التى يلقيها الشاويشـــية علـــى العســـاكر فـــى الجيش، قد نقلنى شيلاً بيلاً، من جملة المعارضين المنحرفين إلى جملة المؤيدين من المواطنين الصالحين.. الذين لا يتطلعون إلى لعب أية أدوار تتسم بالبطولة ويكفيهم القيام بأدوار الكومبـــارس غير الناطقين.. وفى ظنهم أنها أدوار لها أهميتها على مســـرح الأحداث. فقد إنتقل العقيد إلى الجلوس من خلف المكتب.. إلـــى الجلوس على الكنبة الجلد السوداء على يمين مكتبـــه.. جلـــس أولاً، وربت على المكان الفارغ على يساره.. وبإيماءة من رأسه طلب منى أن أقوم وأجلس بجانبه "فى ذلك كثير، بل عظيم مـــن التواضع" كان لازال يحصى حبات مسبحته المعدنية، وينظر إلى الأرض "صوت دقات حبـــات المســـبحة كـــان واضحـــاً كدقـــات الساعة.." عندما راح يتحدث عن أحوالى ومحتـــالى.. ودخلـــى وعيالى.. والعجز الدائم بين دخلى ومصروفاتى "إنه يعرف كـــل شئ عنى" حتى أننى شعرت بالخجل، فهذه أشياء أدخلها تحـــت بند الستر، وأبدوا وكأنى "إبن نـــاس" طالمـــا مظهـــرى يختلـــط بمظهرهم. الرجل وكأنه يقرأ من سجل شكاوى إمرأتى، حتى أننى

لحظت بأنه يستخدم بعضاً من العبارات التى تستخدمها زوجتى، وقت نشوب النزاعات بيننا مثل "على إيه يا حسرة" و"إكفى على خيبتك ماجوراً" "إنت لاقى اللضا.."

ثم إنعطف يستخدم من قاموس عبارات أتعكز عليها مثل "آدى الله وآدى حكمته - القناعة كنز لا يفنى- يعنى أعمل إيه بس..." هى عباراتى التى أقولها ساعة الزنقة. حتى صارت ماركة مسجلة بإسمى.

وإذا ما ردد السيد العقيد مقولاتى.. صمت قليلا ثم إبتسم وهو ينظر نحوى حتى صب إبتسامته الخلابة فى عينى، إبتسامته التى تحد من أعلى بخط شاربه الأصفر وخدوده التفاحى تكورت تحت عينين أمكن أن يحشو فيهما نوعا أو أكثر من طيبة المصريين المتأصلة!

فى الحقيقة إرتحت جداً لكلام السيد العقيد "الذى يعرف الكفت" وسكرت لرائحته الزكية، ولأنه إستخدم معى الإسلوب الهادئ الذى يتفق وشخصيتى.. وإذا ما وجد أننى قد أنبسطت أمامه كأرض مفتوحة سهلة .. إندفع فى أرضى يسوح ويرفع أعلامه.. ثم عرض علىّ المساعدة المالية.. أن يعيننى بمبلغ "بسيط كده" شهرياً.

على الفور حدث التقوقع داخلى.. شعرت بالإهانة. فهذا المكان ليس جمعية تعاونية خيرية،والمساعدة المالية البسيطة "كده" تعنى أعمالاً مرشدية غير بسيطة.. ويمكن تطويرها.. إستعبطت إذ قلت:

- مستورة.. الحمد لله

فقال:

- زيادة الخير خيرين يا عبدو

قلت:

- مرشد يعنى؟

قـــال:
- قل زيادة فى تأكيد المواطنة الصالحة
سألـــت:
- لا زلتم تصرفون أموالاً فى هذا المجال؟
إلتفت نحوى وإبتسم وحبات مسبحته تتساقط تلقائيـــاً..
لابد وأنه يقول عليها الورد أحياناً.. حتـــى وهـــو منهمـــك فـــى عمله..
قلت: كنت أظن أن الإنفتاح أغلق لكم هذا الباب
قام العقيد منتوراً.. أشاح بالمسبحة فى فضاء المكتب وقـــال:
- هو.. هو.. قل تضاعفت.. واخد بالك يا أخ
"وشغلت نفسى بواخد بالك يا أخ .."
هل لها ضرورة أن تقال فى هذا الموقع بالذات؟!

(١٤)
الورد البلدى وعباد الشمس

منذ مرورى بالتجربة التى شكلتنى من جديد "ما من شىء يشكلك من جديد إلا أن يأخذوك من الدار للنار"

صرت مع صديقى فتح الله حذرين جداً من الخبـاصين الذين يقبضون مكافآت على سبيل الإعانة على المعايش الصعبة مكافآت أميرية عن جهود غير عادية.. خلال مسارات القاعدة السليمة، المسالمة جداً.

وكان علينا أن نكون حذرين أيضاً فى كلامنا.. حتى إذا ضقنا وشعرنا بالإختناق لابد وأن لا نسب ونسخط صراحة.. فالفلسطينيين يموتون منذ مائة عام، ولم ينقرضوا "وثمة إتفاقيات نحترمها مع من يقتلونهم" كما أننا أصدقاء أعزاء لمن يتبرع بالسلاح الحديث الذى يقتل هؤلاء المتاعيس الذين أثاروا "الأصدقاء" بإنتفاضتهم التى لسوء حظهم، عاصرت الحادى عشر من سبتمبر، وحرب أكتوبر إستشهد فيها الكثير من المصريين لو مات مثلهم من إسرائيل لتغير حال اليهود فى العالم!

بالطبع أنا وصديقى فتح الله نكون فاهمين الكفت وواخدين الموقف التمام.. ومنحازين للمعارضة الخائبة، التى تفضل المشى الآمن بجانب الجدران وعلى الأرصفة.. حتى تستمر تلك المعارضة فى قبض الإعانة السنوية من لجنة الأحزاب، وحتى تستمر هذه المعارضة فى دفع إيجارات المقرات التى لا يزورها فيها إلا بعض المؤسسين.. وأيضاً لتستمر جرائدها فى الصدور.. وأن يتحصل الحزب المعارض على عدد

من أذونات الحج، والعمرة، يوزعونها علـــى أنصـــارهم مقـــابل تبرعات عينية، أو مادية، فيما يعرف بالمنافع المتبادلة..

وصديقى فتح الله.. وانا.. نبـــدى أحيانـــاً معارضتنـــا للمعارضة.. حتى يظن من يسمعنا أننا صرنا خلاص من أعضاء الحزب الحاكم.. ويكون علينا أن نوضح موقفنا وما علق به من إلتباس.. وهو موقف "تبيـــن" أن الكثـــيرين مـــن المضروبيـــن بالسياسة يقعون فيه.. فلا هم مستفيدون من إنخراطهم فى حزب الحكومة، ولا هم معارضون من النـــوع المزعـــج كمـــا تكـــون المعارضة.. هم مثلنا يغرمون بحرق الـــدم اليومـــاتى.. عندمـــا يسعون فى إدمان غريب إلى نشـــرات الأخبـــار المحليـــة.. ثـــم يضيفون عليها الأخبـــار العالميـــة، لإجـــراء عمليـــات الفـــرز والتمحيص وإستخراج الحقيقى من الزائف.. لتركـــيز عمليـــات حرق الدم.

وقد نكتشف أن حزب الأغلبية الحقيقـــى يتكـــون مـــن السياسيين الذين ليس لهم ولاء حقيقـــى لحـــزب معيـــن.. وأن حزبهم هو مصلحة الوطن بدون غرض شخصى. هؤلاء الذيـــن يقاومون فى صمت تأثيرات الإنفعال الموجه من مباراة كرة قـــدم أو تمثيلية تلفزيونية ممطوطة ومفصلـــة علـــى مـــزاج الأخـــوة العرب، حتى لا تثيرهم تلميحة هنا، أو موقف هناك.. يأتى عرضاً ويفلت من المحظورات.

لذا فإن كثيراً من أعمالنا يمكن حصرها فـــى إنفعـــالات داخلية تعطل الجهاز الهضمى وتؤثر على الجهـــاز التنفســـى.. وتقلل جهاز المناعة كما ترسب فى أعماقنا الهلع • وحالات الكبح ثبت أنها تفسد أعصابنا تدريجياً، ونحن نقوم بعمليـــات التـــبريد السريعة على كل ما يلتهب.. حتى لا نؤدى بروحنا فـــى "ســـتين داهية" وحتى لا "يتلكك" لنا أحدهم، ويجرجرنا إلى حيث مواصلة

التجربة التى تعيد تشكيل الشخص المنحرف من جديد، ليمشى على الخط المستقيم كما الرهوان..

ولما كنا نكبت أشياءً مهمة فى نفوسنا، كانت تتشظى داخلياً، وتسبب لنا أمراضاً. لذا فقد صرت أمشى متسانداً على عصاة.. لا أستطيع نقل خطواتى بدونها. وصديقى فتح الله صار وزنه فى حدود الخمسين كيلو وطوله إنكمش عشرة سنتيمترات تقريباً، فأصبح مائة وأربعين سنتى.. ولونه الأسمر النحاسى.. صار أسمر على أزرق.. وعيناه اللامعتان الآسرتان.. صارتا مطفأتان وكأنهما مرسومتان بالفحم.. حتى البياض الذى كان يحملق به فيبدو ناصعاً بالوجه الأسمر.. بات رمادياً، والذى أزاد البلة طيناً.. أن فتح الله يتصرف تصرفات غريبة.. يقف ويجلس بدون مناسبة.. يتكلم فجأة ثم يتوه منه الكلام وينسى مربط الفرس.. يكون جالساً بيننا على ترابيزة المقهى المعتادة.. لم يعد مهتماً بما يجرى من حوارات فوق الترابيزة، وكأن قطة تتمسح بقدميه "كان هذا يحدث أحياناً" لكن منذ أن حدث له الإنهيار، كان يتعامل مع قطة وهمية.. وكان هذا يجعلنى أشعر بثقل بدنى على ساقى..

فجأة رأيت فتح الله يفط من بيننا وينطلق عدواً عبر باب المقهى، إندفع إلى الشارع المزدحم بالسيارات، إنه شارع الكورنيش، وتصرف فتح الله غير مبرر لنا، قيدتنا المفاجأة فى أماكننا لحظات.. ولكننا قمنا ونحن شلته وإنطلقنا خلفه.. رأيناه يعبر نهر الشارع الذى يجاور رصيف المقهى، ثم يتوقف هنيهة على الجزيرة التى تقسم نهرى الشارع.. ثم رأيناه يندفع أمام سيارة مرسيدس سوداء "كان يقود السيارة المرسيدس إنفتاحى" له مجموعة شركات معظمها يتكون من شقة أنيقة، وسكرتيرة جميلة، إنه من هؤلاء الذين يعملون فى الوكالات والتصدير

والإستيراد، الرجل ظهر عليه الإنزعاج الشـــديد.. فقـد فوجـئ بصاحبنا فتح الله يلقى بنفسه أمام سيارته المرسيدس، فكبحها، ولولا أنها مرسيدس ذات كوابح على الشعرة.. لسحقت صديقنـا فتح الله الذى سقط تحت العجلات.. حملناه ونقلناه إلى الرصيف الذى بجوار سور الميناء الشرقية الحجرى كان قـد بـدأ فـى إغماءة" عندما أشار نحو السور الحجرى وغمغم غمغمات غير مفهومة، فلاحت منى إلتفاتة نحو السور، فشاهدت على الســور علبة سجائره الكليوباترا والولاعة الرونسن التى إشـتـرتها لـه منال من بورسعيد.. فهمت لماذا هو قام مسرعاً وحاول عبـــور الشارع. فقد كان جالساً على السور فى الصباح الباكر.. يستقبل الصباح إستقبال الفنان، وكانت بقعة دماء شرباتى كمـا الـورد البلدى قد إفترشت جبهة فتح الله.. وأنـــا أسـخط فـى وجـه "المنفتح"

-كدا.. موّت فتح الله.. أنت لا تعرف من هو فتح الله!

والرجل المنفتح صار وجهه الوردى فى لون زهرة عباد الشمس، لا يعرف كيف يبرر ما حدث.. لكنه كان مطمئن إلى حد ما، عند ما رأى على وجهى علامات لا تنم عن الهلع والغضـب الحقيقى.

(١٥)
الحادث الذى جرى

▭ الحكمة الشعبية تختصر فى كلمات قليلة لها دلالتها.. إذا ما تأملناها جيدا.. "تجد فيها فـائدة الـدواء الشـافى لمعـافى "الناس لها الظاهر.."

كيف يصدقون أن صديقى فتح الله عبده فتح الله الذى كان جالساً فى أمان الله وراء العمـود الغليـظ الـذى يحجـب ترابيزته فى المقهى عن بابها الذى يطل مباشـرة علـى سـور الميناء الشرقية، أنه بدون مقدمات، قام مندفعاً خـارج المقهـى "حدث ذلك عندما تذكر أنه نسى ولاعته الرونسن وعلبة سجائره الكيلوباترا على سور الميناء الشرقية، وظن أنه بذلـك سـوف يلحق بهما قبل أن يضيعا-المهم هو لم يقل لنـا "ونحـن شـلته" شيئاً.

والشمس كانت قد صعدت إلى قلب السماء بمقدارعشرة أذرع كما يقول القدماء الذين لم تكن لهم ساعات ليذكروا بأنهـا العاشرة صباحاً" وفى هذا الوقت الصباحى من النهـار، تكـون الحركة قد إحتدمت فى شارع الكورنيش "بينما المقهى الذى يطل بابها ونوافذها على الناحية الشمالية، تكون لاتزال تنعم برطوبة الليل ومساحة الظلال المتاحة.. قبل أن تتسلم الشـمس واجهـة المقهى مـن أبوابهـا ونوافذهـا فتمـلأ مسـاحتها بـالدوائر والمستطيلات والمربعات من الضوء الباهر، فيكون المقر الدائـم وراء العمود الغليظ الذى يفضله فتح الله" مناسباً لأن يندمج فى الكتابة.. والشمس تملأ المقهى بالضوء والزبائن من العواجـيز أصحاب المعاشات، الذين يجلسون فى سكون لساعات طويلة،

وفتح الله ينكب على عمله الذى ينحصر فى الكتابة أو القـــراءة أو الإغفاءات المصحوبة بحركات من يديـــه أو رجليـــه تعطـــى انطباعا بأنه ليس مستغرقا فى النوم "على أساس أن معظم زبائن المقاهي من أصحاب الوظائف والعقارات لايزالوا يظنـــون بـــأن النوم فى المقاهى" عيب جدا"!

وإذا نام فتح الله فإن أصحابه الجرسونات من أول عـــم عبد العزيز "الجرسون المسئول" إلى صبى الشيشات الذى يوصل الولعة للزبائن، يكفون عن المناداة، وعمل الضجة التى تصاحب نشاط المقاهى.. ففى وقت يهمد فيه كل شئ، يتخلل أوقات تمتلئ بالنشاط والحركة، يمكن للأستاذ فتح الله المحامى كاتب القصص المدهشة أن يخطف لنفسه إغفاءة..

ورواد المقهى من غير الذين تتاح لهم بحكم الصداقـــة إقتحام إغفاءاته.. إعتادوا على وجود فتح الله عبده فتح الله فى هذا الركن كجزء من المكان، يستمعون فيه لحكاياته وتعليقاتـــه. إما عنه، أو حوله، وكيف أنه سياسى لا يشق له غبار. بعضهـــم يقول عنه أنه جرئ وضارب الدنيا صرمة، وأنه مهاب الجـــانب طالما كانت الحكومة تهتم بما يقولـــه، ويقلبـــون فـــى أقوالـــه، ويحذرون أى شاب جديد تأخذه قدمه ليصير دائم الجلوس علـــى ترابيزته، ومعظم من واصلوا الجلوس معه يعتبرون ذلـــك مـــن بطولاتهم النابعة من شخصياتهم العنيدة.

وكل ترابيزات المقهى إسمها ترابيزات المقهى، فيما عدا الترابيزه التى يفضل فتح الله الجلوس عليها خلف العمود الذى يتوسط المقهى المبطن بالخشب المدهون باللون البنى الغـــامق، هذه الترابيزه إسمها ترابيزه فتح الله.. أو ترابـــيزه "الأســـتاذ" ويتعمد الجرسون إذا ما كانت الترابيزة شاغرة وجلس عليها أحد الزبائن السفارى أن يأتى بالطلبات ويضعـــها في مكان مجاور

على أساس أن هذه الترابيزه محجوزه "أصل صاحبها بيشـــترى حاجه.. لمؤاخذه زمانه على وصول" أما إذا جلس على الترابيزه واحد من أفراد شلته، فإن الجرسون يتنفس الصعداء ويشيل عن كاهله.. همّ.. الحفاظ على الترابيزة شاغرة.

..لكن أن يقوم فتح الله مندفعاً هكذا من البـــاب للطـــاق والشلة متابعة له وهو مندمج فى فك إشتباك بين موضوع وآخر "لما تذكر أنه نسى ولاعتة وعلبة سجائره على ســـور الميـنـــاء الواقع قدام القهوه"

على أثر إندفاع فتح الله المفاجئ.. تجمد جميع أفـــراد الشلة مكانهم وكانوا أربعه، بمـــا فيهــم أنـــا صديقــه الحميــم عبد الفتاح. لقد عبر فتح الله فى لمح البصر نهر الشارع الــذى تندفع منه السيارات القادمة من الأنفوشى إلى محطـــة الرمـــل، ولعل الجزيرة التى تتوسط نهرى الشارع جعلته يتمهل لحظات.. ثم يواصل الإندفاع بكل قوة وهو يتطلــــع إلـــى ســـور الميـنـــاء الشرقيه.. مشغول الذهن بالولاعة -الســجائر مقــدور عليهـــا، والسيارات التى تأتى مـــــن محطـــة الرمـــل قـــاصدة المنشــية والأنفوشى تتدفق.. ألقى بنفسه ليعـــــبر دون أن يـــأخذ الحـــذر الكافى.. فإذا بزعقة الكابح حادة وصارخة تأتى مــــن الســـيارة المرسيدس.. أعقب ذلك ضجة مقرونة بشهقات وصرخات فـــزع لنجد صديقنا فتح الله ملقياً على أسفلت الشارع، منكفئـــاً علـــى وجهه أمام عجلات السيارة المرسيدس.. وكل طرف من أطرافـــه الأربعة يشير إلى إتجاه من إتجاهات الدنيا الأصلية.

كان أول شىء فعلته تلقائياً وأنا فى أشد حالات الهلـــع، أنى وضعت أذنى على صدر فتح اللـــه فســـمعت دقـــات.. دوم.. دوم.. دوم.. دوم.. دوم.. دوم.. دوم

وصاحب السيارة المرسيدس الذى تحول لونه إلى لون زهرة عباد الشمس، كان يؤكد لمن ولوه ظهورهم وأحاطوا بجسم

فتح الله، أنه هو الذى ألقى بنفسه أمام السيارة، وأنـــه ســارع وكبح السيارة.. لكن "كان الرجل مخضوضاً بالفعل" وقلت له:
- من فضلك، إنقله إلى المستشفى
قـــال:
- شيلوه
قلـــت:
- هيا بنا إلى مستشفى الأميرى
فتح لنا الرجل باب سيارته فـــى طاعـــة وحملتـــه أنـــا وإبراهيم المدرس صاحبنا،وصحنا في الرجـــل بعـــد أن جلســنا ثلاثتنا على المقعد الخلفى:
- قوام على المستشفى الأميرى.
إلتفت الرجل إلينا وقال:
- مستشفى أميرى إيه يا أخونا.. يموت هناك وأروح أنـــا فـــى الكازوزه
"راكب مرسيدس ويستخدم تعبير الكازوزة" يبقى إنفتاحى أصيل *
-قـــال الرجل:
- أنا سأنقله إلى مستشفى إستثمارى.. على حســـابى.. المهـــم حافظوا عليه حى.. حتى أصل به إلى هناك.
وفتح الله عبده فتح اللهُ فتح عينيه وأغلقهما.. سمع كل شئ، و بدأ يتململ.. كنت على أتم إستعداد أن أقوم معه بقبلـــة الحياة.. ولما فتحت أزرار قميصه ووضعت أذنى على صـــدره.. إنكمش وشعر بالدغدغه على جلد بطنه.. فضحك.. ضحك وهـــو لم يزل مستموتاً.. والدماء على جبهته وتحت أنفه..
- ما الذى فعلته يا فتح الله..؟
همس فى أذنى وهو ممسك بيد إبراهيم المدرس حتى لا يتكلم:
- أنا نسيت الولاعه الرونسن قلت ألحقها، ضربتنى العربيـــة.. زمانها ضاعت

إبراهيم المدرس طمأنه بأن علبه السجائر والولاعة في جيبه وقال:

- طيب خلاص نقول للرجل يرجع بينا إلى المقهى

همس بين أذنينا إذ رفع رأسه قليلاً:

- نفسى أنام ليلة في مستشفى إستثمارى

وتحسس جبهته وأنفه.. قلت:

- حاسس بحاجة.. الدم الذى..

قاطعنى:

- إنت عارف أنفى من أقل خبطة يشلب دم

وإلتفت إلينا السائق وقال:

- آه.. إيه الحكايه.. أفاق؟

صاح إبراهيم المدرس:

- لسه مغمى عليـــه يـــا باشـــا، بســـرعة علـــى المستشـــفى الإستثمارى.

إشتركت مع إبراهيم فى تحقيق أمنية فتح الله.

(١٦)
إعادة فتح الطريق

▭ فتــح اللــه.. وهو يطرق باب العام الثانى والثلاثيــن بــدا لأول مرة وحيداً ويتيماً ومقطوعاً من شجرة!

لكنه كعادته، كان متماســكا برغــم أن "شــقة" والــده المرحوم وأمه المرحومة التى تركاها له فقدت منه..

الشقة مؤجرة منذ أكثر من عشرين عاماً بإيجار زهيــد ولما إستمر تغيبه عنها طويلاً شغلها عمه، وقام بإستبدال عقــد الإيجار مع صاحب البيت "الإيجار القديم، ستة جنيهــات، جعلــه ثلاثين، فبدل له العقد" وتم تخزين أثاثها وكراكيبها فى البدروم.. وأرسلوا إلى فتح الله أن يأتى ويتسلم حاجاته. وأن يدفع المتأخر من الأجرة، أخفى عمه عنه بأنه كان يواصل دفع الأجرة وعينــه على الشقة، وفتح الله وهو محامى يعرف خطوات القضية بيــن دهاليز المحاكم، وفى دفاتر أحوال الكراكونات، وسرايا النيابات. رأى أن المسألة لا تستاهل التعب.. ولديه ما يصده ويثنيه ويثبط همته. بل ويصيبه بالإكتئاب، كلما فكر أن باب الشقة سوف يغلق عليه فى البيت القديم الذى يقع فى شارع ضيق وراء الكنيســة الإنجيلية.. لعلها ذكريات.. وخيالات، كان يشاهدها لأمه وأبيه.. وأحاديث كانت تدور بينهما، بعضها معقول، ومعظمهــا جنــون وزعيق وغضب وسخط على الدنيا وما فيها.

ليال طوال.. كان فتح الله يمضــى ســاعاتها المملــة مستيقظاً تتقاذفه الهواجس، حتى ينبلج الصبح، فيسارع ويغادر المسكن.. يجر ساقيه.. دائخاً.. وبمجرد الخــروج مــن الشــقة الشؤم، كان النعاس يهاجمه، يحــاول أن يتغلــب عليــه وهــو

سائراً.. إذا أغمض عينيه إلتصقت جفونه، يكاد أن يسقط من طوله نائماً.. يسارع ويجلس فى أقرب مقهى يصادفه.. يشرب القهوة الدوبل على الريحة.. يفوق قليلاً، بعدها يكبس عليه النوم وكأن النوم أخذ خطوة إلى الخلف وقفز على دماغه واحتله..

لذلك كان فتح الله يفضل أن ينام فى أى مكان أو لاينام.. وكان يصيبه الهلع كلما فكر فى الشقة التى صارت من نصيبه. إرتاح أنها ذهبت لعمه، والمسألة عنده لم تعد تفرق كثيراً.. وعُرف عن فتح الله أنه ينام خطفاً.. وإنه ينام فى أى مكان ولا يطيق أن ينام فى شقته.. ومع ذلك كان أبى النفس، يرفض ويشكر الذين يدعونه إلى بيوتهم.. ويتمسك بالرفض، حتى إستقر الحال فى مقهى البنور.. فكف الجميع عن فتح هذا الموضوع، حتى لا يسبب له حرجاً..

ومع ذلك، إقترحت السيدة عزيزة المليجى التى سبق لها الزواج، وفشلت فى الإستمرار مع زوجين بأن الحل الأوحد للأستاذ فتح الله -وهى تعرف بأنه سبق له الزواج من منال الدغيدى- أن يتزوج من سيدة لديها شقة، وتقول بالفم الملآن" أهم شئ أن يكون لديها مسكن.. وبعدها كل شئ يتم تدبيره.. ويا سلام لو كانت هذه السيدة موظفة، لتعين نفسها ولا تمثل عبئاً على الأستاذ."

ولما كانت السيدة عزيزة المليجى لديها شقة حصلت عليها من زوجها الأول الذى آثر أن يقبل عقداً فى دولة خليجية ويسافر، ولما إنتهى عقده إنعطف على العراق ولم يعد من هناك إلا مرة واحدة فى زيارة خاطفة، أتم فيها الطلاق من عزيزة المليجى وسافر، وإنقطعت أخباره..

ولما كانت السيدة عزيزة المليجى تكتب القصص التى تتمنى أن تتحول إلى "تمثيليات" ولو فى إذاعة الإسكندرية المحلية، وفى نفس الوقت تعمل كاتبة "آلة كاتبة" فى إدارة

مستشفى الحميات.. فقد إنتظرت من يقترح على إقتراحها.. "بأن تتفضل وتقبل الأستاذ فتح الله زوجاً" قد ترجئ الموضوع يوماً، من باب الدلال، ثم تعلن القبول.

لكن معظم أفراد الشلة، حتى فتح الله نفسه كـــان يعلـــم بأن فشل السيدة عزيزة من زيجتين سابقتين جاء من تحت رأس الشقة.. وفشله مع منال الدغيدى جاء من تحت رأس أمها التى تشاركهم المسكن، وتتدخل فى كل كبيرة وصغيرة، وأم منال مـــن أول لقاء لم يعجبها فتح الله الذى لم يكن مثل الأزواج أصحـــاب اليد الفرطة..

وكانت منال قد إندمجت فى أعمال النشر والمطابع ولم توافق أن تكون مجرد عشيقة للمستثمر الذى يتكلم بـــالألوف ولا يظهر منها إلا الآحاد.. لقد عادت منال للإنخرط فى الشلة، وتؤثر أن تكون جلستها فى مواجهة الأستاذ فتح الله، كلما نظر إليهـــا وجدها تحدق فيه وعينيها يزدحمان بالعتاب
تكاد تقول له "هيا بنا نلم الشمل من تانى يا فتوحة؟"

عزيزة المليجى كانت تقترح، وشاهدت فتح الله يعصـــر نفسه فى عينى منال التى وإن فقـــدت وليدهـــا إلا أن جســـمها النحيف تفتق وتم خرطه على قالب "السيدة" التـــى ســـبق لهـــا الزواج.. وتتوق إلى أن تعود إليه.. لذا فهى تضيف على شكلها تلك "اللمسات" التى تزيد صورتها رونقـــا وجمـــالاً.. ولاحظـــت عزيزة المليجى التى كانت "تخينة حبتين" مما يجعل الصدر فـــى البطن قطعة واحدة. إن إقتراحها، فتح الطريق بين منال الدغيدى وطليقها.. وإن وجه منال الدغيدى تضرج باللون الوردى، مـــع أنها خمريه تميل إلى الإسمرار.. بينما وجـــه عزيـــزة المليجـــى مال إلى لون الليمون البنزهير..

كنت أجلس بجانب منال.. ملت على أذنها وسألتها:
– هل المسكن ما يزال فى حوزتك؟

قالت دون أن تلتفت نحوى، إذ كانت تصب نظراتها فى عيـــون فتح الله المحملقة..

- عندى المسكن.. أمال بنام فى الشارع؟

قلت بصوت مسموع:

- كدة يبقى خلاص.. شكراً يا ست عزيزة.

وإذا بالسيدة عزيزة تهب واقفة.. تجمع أوراقها وتدسها فى حقيبتها، ولا أدرى لماذا كذبت إذ قالت:

- لمؤاخذة يا جماعة.. عندى موعد مهم.. ضـــــرورى أتعـرف عليه جيداً.. أصله عاوز يخطبنى.. والثالثة ثابتة.

وكان لابد أن نأخذ أمامها سمة الجد، ونواصل الإنشغال فيما بدأناه، ونحن نقول لها:

- مع السلامة يا عزيزة.. لكن لابد من حضورك لمناقشة قصتك الأخيرة!

(١٧)
الفنجـــــرى

..أحياناً أعتقد أن "أنا" وفتح الله، كيان واحد، أو عملة لهــا وجهان.. الصورة، والكتابة. حتى بتنا "معاً" نعرف تماما لماذا كل شهر نموت مرة... وأحياناً مرتين!

ذلك عندما تكتنفنا حالات الكآبة، وأيضاً، كنا نعرف كيف ومتى نكون فى أشد حالات البهجة..

"هكذا بدون أسباب واضحه"

وساعات، فتح الله يكذب لما يحاول جعـــل المواضيـــع تتجه رأساً نحو "الحب" قال "يعني الولد حبيب قوى؟!" لكن ربـــك والحق فتح الله مع منظره الذى "يلطش" من يشاهده لأول مـــرة إذا لم يكن قد دخل مجال "الكاريزما" التى تشع مـــن شـــخصيته، صار متودكاً في نسج الأحلام، وجعل الفراشات الملونة جميلـــة، وملائكية، فى الوقت الذى يخلص نفسه بصعوبة من قيود الواقع الخشن المتجهم، ويتمكن من أن يلقية خلف ظهره..

هنا يكون كمن كسب السباق، مع أنه آخر تعب يحـــاول أن يظهر فرحته الغامرة، يستخلصها من بين أســـنان ومخـــالب الواقع الأليم، يدهشنى جداً بتلك الكلمات الراقصة المبدعة التى يحاول أن يسود بها صفحات الكراريس القصصية، يبـــث فيهـــا عدداً من المصابيح، أحياناً يخبئ بداخلها القمر.. فتشع بضيـــاء فضئ ينسينا الميزانيات المهولة لأمن الدولة والأمن المركزى!! إذ من المهم جداً "هذا رأيى الذى صار رأى فتح الله أيضـــاً" أن تظل الجبهة الداخلية آمنة، ومستقرة، حتى يقوم مجلس الشـــعب "حتى بالأعضاء القلائل الذيـــن يكلفـــون أنفســـهم ويحضـــرون جلساته" بمحاسبه حرامية القـــروض.. والبقـــاء علـــى البنـــوك مفتوحة، صامدة، صمود الطود.. فاللوائح تتيح للمدير أن يقرر.. ثم تتيح له أن يفلت من العقاب، ويطوق رقبة موظـــف مبتـــدئ

بالخطأ غير المقصود "هروب أحدهم بكذا مليار" على أنه إهمال يجازى عنه الموظف بخصم خمسة عشر يوماً من راتبه، وعدم ترقيته عندما يحين عليه الدور!

"أقول لفتح الله: يافتح الله غير الموضوع"

"يواصل في إلحاح.. يقع وسطا بين الجد والهزل.."

ومن الضروري أن لا تفوز شركات الصرافة الأهلية بكامل الأرصدة الدولارية.. لحاجة الدولة للعملة الصعبة، وتلك الشركات.. تلعبها من صفر إلى مليار، ومن ذقنه وافتله

"والله ما أنا فاهم ماذا تقصد... المليارات تروح وتجئ، ثم تروح ولا تجئ، المليار الأول والثانى.. هوب.. صار الدولار الذى كان إلى يوم قريب، أقل من جنيه.. يساوى كف مريم!

- يا عم خليك فى حالك. كلمنى عن المستشفى خمسة نجوم.. كيف نمت على سريرها..؟ وماذا أكلت؟ وهل هم حقاً يستخدمون الجميلات فى ملابس الممرضات؟ إحك يا فتح الله عن تجربتك.. لما نسيت ولاعتك وعلبة السجائر الكيلوباترا على سور الميناء الشرقية.. وعديت الشارع، خبطتك المرسيدس، صاحبها كان كريماً معك.. كان يمكن أن يدوس بنزين ويهرب.. وكان يمكن أن يضعك فى المستشفى الإستثمارى الذى أصر بأن ينقلك إليه.. ويهرب

– لا لا أين يهرب؟.. والتجارب علمت أصحاب هذه المستشفيات الإستثماريه كيف يحصلون على أتعابهم وفواتيرهم الرهيبة مقدماً.. لإسبوع على الأقل.. ويزيد عن ذلك "ألف جنيه" على سبيل الإحتياط.. فيما يبدو أن الإنفتاحى يتعامل مع الألف جنيه كما نتعامل نحن مع الشلن.. والمسألة كذا شلن ويشترى راحة باله..

ولعلى فكرت فى المسأله بطريقة الفقراء الذى علمهم الفقر تقليب المسائل على وجوهها "لو أن الرجل قدم لفتح الله نصف أو ربع المبلغ الذى تركه فى أمانات المستشفى

الإستثمارى؟!

لكن شخصية فتح الله صدتنى ونهرتنى.. بينت لى بأنه لم ولن يأخذ العطيه، وربما قام بتهزئ الرجل!

ومع ذلك فقد كان فى إستطاعه فتح الله أن يعتدل ويجلس بجانبى على مقعد السيارة "قبل أن يصل إلى المستشفى" ويطلب من قائدها أن يعود أدراجه.

ويقول هيا بنا إلى المقهى

لكننى كنت أراه يتمادى ويستموت مستلذاً بحالة الإنهيار التى إكتنفت الإنفتاحى، ومواصلاً الإندفاع ليجرب حالة مبيت فى مستشفى إستثمارى.. بعض الأثرياء.. يلجأون إليها للفحوص، وهم فى الواقع يهربون من خوتة الدماغ، ورأيت أن فتح الله يسعى للإستمتاع ليلة أو أكثر.. كحاله تحاط بالرعاية.. يريد أن يمر بالتجربة الحية التى جاء بها عصر الإنفتاح.. ومع أن صاحب المرسيدس دفع أجر الأيام الأربعة الباقية من الأسبوع.. إلا أن فتح الله بعد الليلة الثانية هيأ نفسه لمغادرة المستشفى

..أبلغنا الموظف الإدارى بأننا فى حالة الإصرار على المغادرة.. سيكون لنا باقى حساب بالخزينة.. لن يقل عن خمسمائة جنيه بأية حال، ذهلت وتجمدت مكانى إذ فوجئت بفتح الله الصعلوك يقول للموظف أمام الممرضة الجميلة:

- عارف.. عارف.. خليهم علشانكم. الباقى للموظفين والممرضات من فضلك..

شكرته الممرضه بإبتسامة خلابة

والموظف ضرب لصاحبى فتح الله تعظيم سلام..

والصعلوك مشى فى ملابسه القديمة بالكوتشى

وسحبنى من يدى وخرجنا من المستشفى

وليس فى جيوبنا أجرة التاكسى . .

"يا ابن الـ...ذينه؟!.

(١٨)
دعونا نعترض

▭ إعتاد رواد مقهى البنــــور أن يشــاهدوا تجمعــات مــن الشباب.. وفى هذه التجمعات ينــدس عــادة الكهــول الذيــن لا يعترفون بالهزيمه، يقرأون الكتب، أو يقرأون فــى أوراق بيــن أيديهم، كتبوها بأنفسهم، وأحياناً.. يقوم شاب نشيط كــى يعلــق على جدار المقهى أو بجانب مرايا الأعمدة "إعلاناً عن عــرض مسرحى" أو موعد ندوة بقصر ثقافة الأنفوشى أو قصر التذوق.. أو الأتيليه.. ولابد وأن ذلك اللقاء يهم الشباب أنفســهم، وفيــه يمارسون روح التمرد والرفض "فمعظم الشباب" من رواد مقهى البنور "على الأقل" لا يتصارعون على ما تنفق عليه الحكومة من ميزانياتها.. ويعتقدون إعتقاداً جازماً بأن ما يقولونه هم، ومــا يكتبونه هم، وما يمثلونه هم، من مسرحيات يؤلفونها ويعدونهــا لأنفسهم هى الثقافة الحقة، النابعة من صميم فؤاد العصر.. أمــا غير ذلك، فهى ثقافة عواجيزى ووزارية يجب الســخرية منهــا ورفضها!

لا ندرى من الذى وضع هذا المفهوم فى ذهن الشــباب "الحالة جديرة بالدراسة"، فمعظم الشباب لا يقرأ.. ويســتنكف أن يشاهد التليفزيون، أو يستمع للراديو..!

– حسناً وبعدين؟!

فى ظنى أن ما يفعله الشباب، أو هــذا القطــاع مــن الشباب "طبيعى جداً" وصديقى فتح الله المحامى الأديــب النــاقد أحياناً "وضح لى المسألة" بأن الشباب الذى يفعــل ذلــك يفعلــه أحياناً فى نطاق التضاد والإختلاف الأبوى الذى يمارسه الأبنــاء ضد آبائهم على إعتبار أن أولادنا يتعلمون "اللا".. قبــل النعــم "وقسوة المدرسين فى المدرسة" الممســكين بالعصــاة الجريــد ترغمهم على قبول كل شئ مسلماً به. وتمرد الشاب فيمــا بعــد

سيكون نابعاً من تلك "اللا" التى أرغم أن يقبلها "نعم".. والشباب يفعلونها فى نطاق الأبوة التى تسامح تمردهم، وإذا ما فوجئ الشباب بأن الحكومة ليست هى حضن الأم، وزند الأب.. ينقلب ذلك التمرد إلى حالة نكوص شديد، أو غضب حزين، وإكتئاب "واخد بالك يا عبدو"

هنا يتوقف فتح الله.. ولعله يتأمل ما قاله على إنفعالاتى.. ثم يواصل:

– فى ظنى أن معظم الشباب سوف يلوذ بحالة النكوص مما يزيد من قاعدة المواطنين الصالحين الذين يكسلون عن الذهاب إلى صناديق الإنتخاب، ولا ينخرطون فى أحزاب، ولا يهمهم أيه مشكله يمر بها الوطن أو الأمة.. هؤلاء الذين جلسوا بين أربع مرايات.. "واخد بالك ياعبدو؟!"

وقد أحاول الإعتراض، أن أقول "لا" من نفسى، على أساس أن المسألة ليست بتلك التحديدات القاطعة، أحاول أن أوضح بأن لو لم يكن الشباب على حق فى مواقفه وغضبه وثورته ما حدث التطور فى المجتمع.. وأبين بأنه ثمة فرق بين تطور يراه الآباء فساداً وميوعة. وتطور يحدث بالفعل نتيجة لكم المعارف والثقافات والمناهج التى صار يلم بها الشباب فى وقت قصير، كانت تستهلك عمر المثقف.

واحد مثل "العقاد" كان كلما قرأ كتاباً وأعجب به لخصه ونقله للقراء بأسلوبه، الآن الثقافة على الرصيف، ليست فى حاجة لتلك المقالات والملخصات.. ودور هذا المثقف الناقل إنتهى "أنيس منصور وغيره يفعلون ذلك حتى لا يظن العقادون بأننا نتجنى على الرجل" والمثقف صار له وضع جديد يتلخص فى المنهج أو النظرية التى يأتى بها. قد يدافع عنها بأبسط الكلمات، ولكن أن يقدمها شفاهة، أو فى كتاب وحيد، فمن الذى سيجد وقتاً ليقرأ كماً هائلاً كان يقرأه الآباء؟؟

ونحن العواجيز نشأنا على المقالات المنمنمة، والتى

كانت تقدم لنا المشاهد والقصص والحواديت

كل ذلك إنتقل ليكون مادة مرأية أومسموعة، لــذا فقـد سقط المثقف القديم، وحل مكانه الصحفى ورجل الإعلام، وعلينا أن نترك المجال للشباب ليبحث عن وعاء جديد يقدم لنــا فيــه نفسه.. "واخد بالك يافتح الله؟!"

ولعل تلك المقاوحات التى كنت أدفع بها نبهت فتح الله بأننى لم أعد "سبورة" وخلاص.

كانت شله فتح الله، التى صار لكل شاب منها شلته، تكبر، وتنقسم كما الخلية.. قد أحاطوا بنا.. ويتهيأ بعضهم للمداخــلات الحادة!

وعم عبد العزيز الجرسون.. أغلق التليفزيون بالريموت كنترول.. إذ أنه من المهتمين بالمتابعة، أثناء توصيل الطلبــات "هو مثقف على الريحة"

..والزبائن فى المقهى "من المتوقع أن يكون بينهم واحد أو إثنان من رجال أمن الدولة" الذين يعمقون المواطنة الصالحة، ليس بالقلب فقط" ولكن بتسجيل كل ما يدور مادياً ومعنوياً!!!

وإذا ما رأونا قد تجمعنا وفتحنا باب الموضوعات التــى نغرم بها، إقتربوا منا.. نكاد نعرفهم شخصياً، وفتح اللــه يبتســم نصف إبتسامة إذ يركنها على جانب فمه الذى من ناحيتى، وفى نفس الوقت يخرج صوتاً من فمه المعوج المبتسم وكأنه يتكلــم من بطنه كما "الشيكابيكا".. أو كما رؤساء العصابات، وشــيوخ المناسر فى الافلام العربى، أسمعه يقول فى أذنى:

– وإيه يعنى.. كل يوم أنا وإنت بنموت فى حادثة.. ساعات ننزل نقطتين دم.. وساعات ننحرق بنقطتين غم!

ويهز فتح الله أكتافه المهدلة مستهيناً، وهو يستمع إلى مداخلات الشباب، إذ ظن المتكلم الشاب أنه يستهين بــه فــراح يعيد الرفض حتى يؤكده.. معارضاً لكل شئ قيل اليوم، أو سيقال غداً "كده،خلاص"

والذى لا يعجبه "يتفضل يقوم يشرب من البحر"

ولعل كل مداخلات الشباب فى هذه الأمسية إنتهت بتلــك الصرخة فى وجوهنا :

"الذى لا يعجبه يقوم يتفضل ويشرب من البحر.."

ولما كان بيننا وبين البحر يادوب عدة أمتار فقط عرض طريق الكورنيش.. فإن الإشارة كان لها وقعها النفسى والمادى.

..أنا والسياســـى القديــم الأســـتاذ حمــدى ســكروته وفتح الله.. نعتبر تقريباً أكبر الحضور سناً على الترابيزة.. فتح الله علمنا كيف نستقبل ثورة الشباب وغضبته بهــدوء وحكمــة العجائز باردى الأعصاب، بطاء الحركة، ولابد وأن نتمثل بالآباء فى إحتمالهم وصبرهم

بقينا نبتسم فى وجوه الشباب الساخط...

إذ لابد وأن يأخذ حقه فى السخط والصراخ على إعتبار إن أيــام الصمت وكتمة النفس "أمـــامهم" ســتطول، وتطــول، وســوف ينغمسون فيها وأرجلهم فوق رقابهم

ماذا سيحدث لما يكون فى عنق كل واحد ذرية عيـــال، وزوجة قلقة، وله رئيس فى العمل.. شغلته مضايقته، والبحـــث عن عكننته؟

وإذا ما وضعت نقطة الختام للندوة وانفك الشباب مـــن حولنا. قمت مع فتح الله وخرجنا من المقهى نشـــم قليـــلاً مـــن الهواء.. عبرنا نهر الشارع، وصرنا فى مواجهة البحر.. حـــانت منى إلتفاتة جانبيه، وفى نفس الوقت لكزنى فتح الله فى جنبى، فقد شاهدنا معاً فى وقت واحد...

معظم الشباب الذين أبدوا مداخلات شـــديدة اللهجـــة وإعتراضات صارخة، أثبتوا بها أنهم معارضون جداً..

نزلوا فوق المكعبات الأسمنتية، وراحوا يغـــترفون مـــن ماء البحر بأيدهم ويشربون...!

(١٩)
المقيـــــاس

☐ إذا كان لك صديق أديب، فسوف تكون له حالات مدهشة، مثل صديقى فتح الله عبده فتح الله، الذى عودنى علـــى وقــت السكون والتفكير..

بعدها أحسست بأن مخى يكبر ويكبر كمن كان جوعاناً وأكل وشبع إلى حد التخمة. هو الذى عودنى أيضاً، علــى حــب الناس "كده لله فى لله" بدون أن يكون لـــى غــرض مســبق..

وجعلنى أجرب تجربته المدهشة" إذا ركزت حبــك علـــى شخص، سوف يلتفت هذا الشخص نحوك، رجلاً كان أو أمـــرأة ويبتسم فى وجهك، ويحاول التعرف عليك والتقرب منك "هكـــذا" بدون سابق معرفة!

وأيضاً إذا ركزت كراهيتك على شخص معين "رجلاً كان أو إمرأة" ستجده يلتفت نحوك فى حدة وإســـتعلاء يحـــاول أن يشتبك معك فى شجار، أو حتى ليشعرك بأنه الأفضـــل والأعلـــى منك!

ولما كان فتح الله جرب بنفسه هذه المســـألة ونجحــت بنسبة تسعين فى المئة، فقد نبهنى، أن العشرة بالمائة الفاشلة، كانت بسبب عدم التركيز الجيد.

ومع علمى بأن صديقى فتح الله.. واقعى ومـــادى ولا يصدق مطلقاً "أن حركة الظل قد تسبق حركة الجسم" فقد صدقته. فليس من الحكمة أن أسميه "صديقى" ولا أصدقه

وهو الذى عودنى على قعدة المقاهى، وإعتبارها صالات بيوتنا. وفيها شجعنى على تحمل إندفاعـــات الشـــباب أصحـــاب

الزغب الأخضر، والإندفاعات الحماسية، ومحاولة تحريك مياهنا الراكدة، الأسنة، بتلك التيارات الجامحة..
وهو الذى يرى أن فى ركوب المواصلات العامة مثل الباصات والميكروباصات. وترام الرمل، وقطار أبى قير، إلتحاماً حياتياً بالناس الطيبين الذين سيتكلمون معك كأنك من عوائلهم. وسينبسطون أمامك فى سهولة الأرض الخصبة. تحتل منها ما تشاء كلما زرعتها بالاشجار والمحاصيل سيعترفون لك بملكيتها.

وأخذت منه الخصلة المدهشة، لما أشوف فراشة طائرة دوغرى يتهيأ لى أنى أتعامل مع ملاك سماوى نزل إلى الأرض لحل مشاكل الفقراء المعوزين، وأن هذا الملاك سيصعد إلى السماء بمجرد أن يتحول إلى نقطة ضوء تتوغل فى الأعالى. إنها الفراشات الملائكية التى يكتب قصصه عنها ومنها.. هى ملائكة من إختراعه هو.. فأنا أعلم بأحوال صديقى.. لا عمره شاف ملاك، ولا عمر ملاك تحول أمامه إلى فراشة ملونة.. هو الذى يرى أن الفراشات ملائكة لها دور فى تخفيف المعاناة عن الفقراء وفى مقدمتهم الطبقة الدنيا،وهؤلاء المتظاهرون بالستر فى الطبقة الوسطى المقاوحة المسحوقة!
على أعتبار أن الأحساس بالظلم يزيد المعاناة، وهو الذى جعلنى أنتظر حالة الإنتقال من الدنيا "بتاعتنا" إلى الآخرة المذكورة تفصيلاً وتأويلاً فى الكتب المقدسة..
أنتظر حالة الإنتقال المسماه بالموت، دون رعب أو هلع..
فقط كان يحذرنى من الموت فى حوادث المرور.. إذ كان يؤكد لى بأن السيارات من كل ماركة ولون صارت تزحم الشوارع، يقودها سائقون أدمغتهم إما فارغة، حتى أنها لا تهتم بمن هم خارج السيارة.. أو مشغولة جداً بدرجة أن لا تهتم "أيضاً" بمن هم خارج السيارة.. فيقع الإهمال على دماغ الذين

يزاحمون السيارة المجنونة سيراً على الأقدام، ويحاولون عبـور الشوارع على أساس أن هذا من حقهم ..!

ومع أن صديقى فتح اللـه.. دائمـا يوصينـى ويعـود يوصينى بالإنتباه فـى حالـة المـرور بالشـوارع المزدحمـة بالسيارات.. فقد كان شهرياً تقريباً، يخطئ هو التقدير.. فتصدمه سيارة.. ينزف نقطتين دم.. ويطمئن أن أنفاسه داخلـة طالعـة فيقوم من سكات يعتذر للسائق، الذى يكون فى هذه الحالة هائجاً ومثاراً ومستمراً فى سباب أهله، ومعتقداته، والذين يتشـددون له..

وبعدها يذهب كل منهما إلى حال سبيله..

وينسى فتح الله ما حدث. أنبهه إلى أن يتنبـه هـو.. فيقول لى بحزم:

- "أنا لبست مقياساً ياعبدو.. المهم إنت تأخذ بـالك!!" أنـا فـى ستين داهية.. لكن أنت لك أولاد.. وعليـك مهـام ومسـئوليات عائلية..

أقول مندهشاً:

- يا سلام..!

(٢٠)
الفراشات الملائكية

▭ لما كان صديقى فتح الله.. قد جهز مجموعة قصص جديدة.. معظمها عن نفس الملائكة الذين يتحولون إلى فراشات ملونة.. الفراشة تظهر وقت الأزمة لتحل للإنسان المسكين مشكلته، أو تقدم المساعدة للسيدة التى كل مشكلتها أنها جميلة وفقيرة.. وكل من يقدم لها خدمة.. يفكر كيف يقبض منها الثمن هبشاً فى جسمها، وأحضاناً، وبوسا ولغوصة. حتى أن السيدة قرفت من نفسها، وصارت لا تطيق حياتها فتفكر فى أن الخلاص يأتى بالموت!

ولما كانت تلك الفراشات الجميلة الملونة تسارع لنجدة المعوزين والمحتاجين والضائعين.. تطلب الأمر أسراباً عديدة من تلك الفراشات. حتى صارت تختلط بالذباب والناموس فتملأ الأحياء الشعبية "بالهاموش" وقليل منها يذهب فى إستدعاءات عاجلة إلى الأحياء الأرستقراطية "إذ هناك يوجد أحيانا فراغة عين من السيد المحترم، الذى يترك زوجاته وعشيقاته وهن أجمل من بعضهن.. ويحاول إغتصاب الخادمة!

وعلى أثر هجوم الهاموش قد يظن المسئولون فى البلدية. والمنوط بهم نظافة المدينة السمهرية، وتنسيق الحدائق، وتلوين الجدران بالرسومات، وزرع التماثيل، وجعل المدينة ملائمة للسياحة.. أن هجوم هذه الفراشات جاء بسبب أكداس القمامة، أو بسبب تقاعس القائمين على شئون النظافة، فأوكلوا نظافة المدينة للشركات الأجنبية لتقوم بنقل القمامة من البيوت والدكاكين على أساس إضافة ثلاث جنيهات على فاتورة الكهرباء "أقل من خمسة عشر جنيهاً. وخمسة جنيهات إذا ما زاد

الإستهلاك عن ذلك "على أساس أن من يستهلك كهربـــاء أكــثر ستكون قمامته أكثر" أما الدكاكين والمحلات فقــد ربــط عليهــا عشرات الجنيهات شهرياً. وقد تم تنفيذ ذلك بطريقة الضرائـــب العثمانلية والمملوكية.. تحصل أولاً، ثــم ينظــر فـــى توسـلات الفقراء.. فلا إتفاق قام بين المواطنين وتلك الشركة التى أســـند لها نقل الزبالة، وبحسبة بسيطة قام بها فتح الله.. وجدنا أنه إذا تم التحصيل من مئات الألوف من المســـاكن والدكـــاكين.. فــإن عربات الشركة ومعداتها ومبانيها تغطى فى ثلاثة شـــهور، أمــا الشهور التى تأتى بعد ذلك، فهى أرباح فى أرباح، نـــاهيك عــن قيمة الزبالة نفسها..

لذا فقد إهتمت الشركة بأى ظـــاهرة تتعلـــق بالنظافـــة وإعتبرت وجود الهاموش إعلاناً بالتقصير.. والهاموش تضاعف بسبب القرارات العثمانلية التى لا تعرض على الجمهور ليوافـــق أو يرفض طبقاً لما يشاع عن الديمقراطية.

فقد قامت الشركة بإصطياد تلك الفراشات الملائكية بعد رشها بالمبيد الحشرى القاتل للهاموش. مما أصـــاب الملائكـــة بالدوخة الشديدة.. وقيل أنهم إذا سحقوا فراشة ملائكية ســـمعوا أنيناً وشهقات مكتومة.. ومع رقة الفراشات كانت تقاوم السحق الآدمي.. وقد إضطرت بعض الفراشات إلى أن تسارع وتتحـــول "ساعة الأزمة" إلى ملائكة لها أجنحة بيضاء وشكلها وديع كمـــا الأطفال عمر سنة إلى سنتين. وحاولت الملائكة إظهـــار حقيقـــة الموقف للزبالين.. ومع ان معظم الزبالين يتكلمون العربية فقــد أصيبوا بالخضة من هذا التحول المفاجئ الذى يحدث للفراشـــات الإسكندرانية. يحاولون سحقها فتئن وتشهق قليلاً ثم يحدث لهـــا التحول، وتبدأ الملائكة فى إلقاء النصائح والتحذيـــرات حتـــى لا يعرض الزبالون أنفسهم للمسائلة الربانية.

هنا كان لابد وان يحسم الأمر السيد ملاحـــظ الزبـــالين بذات نفسه. إستمع إلى إحتجاج الملائكة. وذلك العذاب بـــالرش الذى يتعرضون لـــه دون مـــبرر وهـــم فـــى مهـــام رسـمية.

فى البداية إدعى الملاحظ أنه لا يفهم كلام الملائكة على أساس أنه باللغة العربية النقية. فحدثوه باللغة العامية، إســتمع الرجل الزبال جيداً. وهز رأسه كثيراً حتى إنتهى الملاك "الصغنن" الذى يتكلم بطلاقة

وقال الملاحظ وهو يفرك ذقنه مفكراً:

– مع أن موضوع الملائكة الذين يأتون لمساعدة الناس الغلابـة غريب حبتين.. وكما حواديت بتاعة زمـــان، لا يدخـل دمــاغى بنكلة.. فأنا من جهتى متعاطف معكم على أساس أنى أول مـــرة فى حياتى أشوف أطفال لهم جناحــات ولـم يسـتخدموها فـــى الطيران.

قال الملاك الذى يتحدث بالعامية:

– أصل إحنا دايخين من المبيد، ونسبة السم فيه عاليـــة جـداً. حرام عليكم.. هذا مبيد لا يقتل الذباب والصراصير فقـــط.. بـل يقتل الخنافس والبشر..

الرجل الملاحظ سارع وقدم إتفاقاً نصفه الأول أساســى، ونصفه الثانى إحتياطى..

"الإتفاق الأساسى، أن يترك الملائكة تتحول إلى فراشات وتذهب إلى حال سبيلها.. على أساس أن يحصل هو على نصف دسته منهم، "رشوة" كى يلعب بهم أولاده فى البيت.

"الإتفاق الإحتياطى، أن يحبسهم جميعاً للعـــرض علـــى المدير العام.. وربما قام بعرض المسألة على الســيد المحــافظ، وحصل على أمر يجعلهـــم فرجـــة للســواح، خاصـــة ومكتبـــة الإسكندرية قد عادت من جديد، وليجعل مـــن هـذه الفراشـــات الملائكية أعجوبة إسكندرانية تفوق المنارة القديمة

ولما كان فتح الله يرى أن كثيراً من الأزمــات وصلـت إلى الزروة، ومن الضرورى أن تتدخل السماء بأية صورة مـــن الصور.. قبل أن تقع الفأس فى الرأس. فقد أنهى القصة.. بـأن يحصل الملاحظ الزبال. على نصف دســتة فراشــات ملائكيــة. وإختار الملاحظ أجملها ألوانا، وإتفقــوا معــه بـأن لا يصــرح بحقيقتها لأولاده.

ويقال، أن الرجــل الزبــال إلــتزم بــالتعهد وأن أولاده الأشقياء الثلاثة لعبوا بالفراشات نصف ساعة تقريباً، ثم أصابهم الملل.. وقاموا بتدبيسها فى كراريسهم لعرضها علـــى مــدرس العلوم فى المدرسة. وللضجة التـــى يصنعهـا الأولاد مقرونــة بصوت التلفزيون، وأحاديث العائلة فى البيت، فلم يســمع أحـد أنين الفراشات وهم يصلبونها على صفحات الكراريس.. ومــن المعلوم أن الملائكة تنزف نوراً.. وليس دمـاءً كالبشـر.. وقـد تحملت الملائكة ذلك العذاب العارض مـــن أجـل خـاطر الأولاد الأبرياء..

ومدرس العلوم بالمدرسة.. لما رأى الفراشــات الســت بألوانها الجميلة مصلوبة على صفحات الكراريـــس.. حـاول أن يتذكر متى أعطى أمراً للتلاميذ بتحنيط الفراشات هذا العام، فلــم يتذكر. بادر وقال:

– هذا العام عام تحنيط الصراصير.

بعدها قام الزبال بفك دبابيس الفراشات لتستعيد نشاطها وتطير، وفراشة كانت تتلكأ فى محاولة لإنقاذ التلاميذ من تلاعب المدرسين الذين لا يقومون بعملهــم الأساســى فــى الفصــول، وينقلونه إلى الدروس الخصوصية..

لكن حجم المشكلة.. كان يتطلب إســتخدام كتيبــة مــن الملائكة التى يجب أن تأخذ صورة الأسود والنمور والتماسيح..

إضطرت الفراشة لمغــادرة المكــان قبــل أن تطولهــا

"محاولات كان يقوم بها تلميذ أو أكثر" يحاولون إسقاطها قتيلـــة بطرف المسطرة الخشب الصينى!

قلت لصديقى فتح الله:

- حكايات الملائكة فى صور فراشات ملونة لن يفهمهـــا أحـــد.. والزبالون مازالوا يحصلون على ما قرروه مقرونا بفاتورة الكهرباء..

" إذا لم تدفع قطعوا عنك النور، وجعلوها ظلاماً دامســـاً.. " كمن كانوا يلقون بكرسى فى الكلوب زمان

هز رأسه وقال..

- أنا عارف!

(٢١)
صاحب صاحبه

قمت بعدة محاولات.. أن أجعل نفسى مثل صديقى فتح الله المحامى الجوال والأديب المدهش،الذى يستطيع أن يخترق حاجز الطبيعة، مثله "رغبت" أن أبص بعينى فيما وراء الدنيا الفانية "بما يعنى" على حد تعبيره

"أضرب الدنيا صرمة"

ومن الضرورى "والأمر كذلك" أن يكون للواحد أكثر من صرمة!

فى الواقع.. فشلت،ومع ذلك "إدعيت أننى نجحت إلى حد ما. عندما كنت اقوم من تلقاء نفسى" برغم أعبائى العائلية، وحالة الحرص المزمنة، وأدفع حساب المقهى لى وللزملاء الحضور.. منغمساً فى ذلك الإحساس المبهج بأنى معطاء!

صديقى فتح الله.. لا يعرف حقيقة مشكلتى؛ إذ كان هو قد نشأ وحيداً.. فأنا قد نشأت مع سبعة أشقاء "كنت الثالث" وبيتنا يشبه السويقة، فقد أمكن لأمى أن تأتى بنا جميعا فى العشر سنوات الأولى من زواجها الميمون، بواقع كل أربعة عشر شهراً.. طفلاً.. وفى العام الثانى عشر من زواجها،فقدت الولد الثانى المسمى عبد القادر، فى حادث الترام بمزلقان باكوس، أمام حلقة السمك..

إذ كانت أمى ملخومة بشراء السمك البلطى الصغير..

وكان عبد القادر يرافقها.. وقيل أن شقاوته عجب. ولم يكن ينصاع لها. ويتحرك مندفعاً هنا وهناك بدون ضرورة.. حتى إلتقى بالترام المندفع لعبور المزلقان، والذى لم يستطع السائق كبحه، فمزقته العجلات. ولبست أمى الملابس السوداء،حزنا على

أخى رقم إثنين. وربما لأنى كنت رقم ثلاثة، فقد كنت إذا ما إجتزت مرحلة فى حياتى.. تصوروا أن المرحوم عبد القادر لابد أنه كان سيسبقنى بخطوة.. حتى أنهم كانوا يتناسون تشجيعى وتهنئتى بما أحققه.

وكنت أندهش أن أمى لم تزل ترتدى ملابس الحداد على المرحوم عبد القادر، ولا حديث فى بيتنا إلا عن المرحوم عبد القادر.. مع أن ما بقى لأمى سبعة أولاد.. أربع صبيان، وثلاث بنات، وعبد القادر مات فى عامه السابع.. ولم يفصح عن أية مواهب إلا شقاوته، وعلمت بأن أمى كانت إذا طلبت منه الإتجاه يميناً، يتجه يساراً. وأبى إذا أمره أن يأتى كان يذهب.. هكذا تحدثوا عن عناده..

ومع ذلك كان حزن أمى على عبد القادر مقيماً بيننا.

أما وقد إنتهى أجل شقيقى عبد الحكيم الذى يكبرنى غرقاً، في شاطئ بالساحل الشمالى، تكثر به الدوامات والتيارات وكان ذلك فى إحدى النزهات القليلة التى نلح عليها جميعاً طوال العام.. ولم يتمكن رجال الإسعاف من إنقاذه، وكنت معهم ألهو على الشاطئ.. فقد إستمرت أمى ترتدى ملابس الحداد المقرونة بإتهامى "بأنى الولد الفقرى".. الذى لا يطيق احداً فوق رأسه أو تحت رأسه!

ذلك الزحام من الأشقاء الذى لا يتميز منهم أحد فى دراسته، أو مهنته، جعل والدى يستمر مربوطاً فى ساقيه المسئوليات العائلية.. حتى بعد أن صار أولاده الست الباقين.. شباباً.. وكل منهم فى أشد الإحتياج إلى مسكن خاص، وزوجه، ودعم عائلى متواصل للرواتب الهزيلة !

"الصراع بين هؤلاء الأشقاء وعلاقتهم بوالديهم وببعضهم وكل نفس لها ذائقتها" يحتاج إلى مجلدات

كان لوالدى دكان بقالة من ثلاثة أبواب على إعتبار أنه بدأ تجارته كبيراً والمفروض بمرور الأيام أن يكبر الدكان إلى

"سوبر ماركت" ثم إلى شركة تجارية،فوالدى صاحب موهبة فـــى التجارة، لكن ما حدث "ربما بسبب زربة العيال" الدكـــان الكبـــير راح يتقلص ويصغر حتى صار "سلخة فـــى منـــور" مـــن تلـــك الدكاكين التى تشبه أكشاك بيع الخردوات والتى يجلـــس فيهـــا العجزة للبيع على أساس ذلك أكرم من التسول!

لذا فإن حياتى إعتمدت على أننى حين أكـــون مشـــغولاً "بالغذاء" لابد وأن أفكر فى "العشاء" المهدد دائماً بالزوال

حتى فيما بعد توظفى فى إحدى الشـــركات الحكوميـــة.. كنت شديد الواقعية.. شديد الطاعة.. شديد الخوف مـــن الغـــد.. ومن إنهاء الخدمـــة.. شـــديد الحـــرص علـــى عـــدم إرتكـــاب المخالفات.. متمسكاً بالدنيا الفانية التـــى لا أســـتطيع ضربهـــا بالصرمة.. هى التى تضربنى مائة صرمة كل يوم، وأكون مطالباً بأن أنحنى وأناولها ما يتساقط حولـــى مـــن صـــرم ولا يصيـــب الهدف.

صدقنى يا فتح الله.. أنـــا فشـــلت أن أكـــون مثلـــك.. زلنطحياً، أنت تصرف ما فى الجيب.. ويأتيك ما فى الغيب،وأنـــا جربت أن أفعل مثلك.. كدت أموت من الجـــوع، إذا لـــم أمرمـــغ بوزى فى الأرض، وأطلب قرضاً، أو طعاماً من ندل لا يســـاوى مليماً، فاكر المليم.. تلقاك نسيته؟!

إنت تعلم يا فتح الله.. أنا من جهتى.. من عينى أكـــون صاحب صاحبى.. وفنجرى وجرئ، ذلك يتطلب شخصية شجاعة مثلك.. هى النقيض منى تماما.

"كنت أدير المنلوج الأخير فى ذهنى.."

عندما سقط فتح الله مغمى عليه "فى المساحة التى تقع بين الترابيزة التى نجلس عليها خلف العمـــود التخيـــن" ودورة المياة فى نفس مقهى البنور

نقلناه بمساعدة ســـائق التاكســـى،الـــذى يملكـــه عـــم عبدالعزيز الجرسون، إلى المستشفى الأميرى

"فى الإستقبال ومع كثرة الوارد وقلة الأطباء" فتح.. فتـــح اللـــه عينيه وإبتسم.. إذ راح يذكرنى بالمستشفى الإســـــتثمارى التـــى أمضى فيها ليلتين مدهشتين، وحاول أن يتماســـك، وأن نقـــوم وننصرف، لكن الطبيب الكبير كان قد حضر..

أجرى بعض الفحوص والكشف على فتح الله، وأبلغنا بأن فتـــح الله، يعانى من سوء التغذية "أنيميا حادة جداً"

ونظر الطبيب نحوى.. بدوت فى نظره سميناً جداً

قال مازحاً:

- إيه انت بتاكل طعامه؟!

(٢٢)
نفوذ المساتير

▭ مما لا شك فيه أن "الفلوس" تسوى الهوائل.. وفى عمليات التخفيف عن نفسية المفلسين المثارة دوماً نعمل على تحويل الدفة "إلى" أن كثرة المال قد يؤدى بالإنسان إلى الفساد والرخاوة!!

وقد ثبت بأن هذه الأقوال تدخل تحت مقولة "قصر ذيل يا أزعر"

والمسألة "ونحن أبناء ثورة يوليو" بمعنى أننا عشنا مراحلها "منذ أن قامت كحركة مباركة تتخفى وراء رتبة اللواء الطيب محمد نجيب" كنا وقتها أطفالاً وعيالاً.. فشربنا من لبنها الثورى، وكبرنا على بياناتها التى كانت مؤثرة فى الجماهير العربية، بنفس درجة تأثيرها فى الجمهور المصرى لمواكبتها لما يحلم به الجميع..

وفى شبابنا حاولنا أن نعبر عن ذواتنا ولو بالغناء مع عبد الحليم حافظ.. أو بحفظ فقرات من الميثاق.. وقد كان الميثاق مسجوعاً، يمكن أن نستظهره كالشعر المنثور!

لكن المسألة سوف تصير مشكلة عويصة.. إذا ما تجرأت الثورة وأخذت من الأغنياء "تكلة" وأعطت التكلة للفقراء.. ربما لو أخذت منهم نصف ما يملكون على سبيل "الرشوة" وتوسيع رقعة الأغنياء.. لما غضبوا، ولما كانت لهم ردود أفعالهم المؤثرة، فالأغنياء لهم قدرتهم الخاصة فى مسألة ردود الأفعال، والتى ستوجه تماماً إلى الهدف.. ويتم التنشين السليم، ثم إطلاق الرصاص الحقيقى الذى يميت فوراً، والأغنياء فى العالم يتساندون دون أن يقال شيئاً عن "الفكر المستورد" فالإشتراكية مستوردة "لكن الرأسمالية محلية جداً" وعلينا أن نعتق رأسماليتهم جهاراً، دون إحساس بالذنب.

والفقراء من كثرتهم.. لهم عفويتهم التى لا تؤمن بالتخطيط والعمل المركز، وهم أولاً وأخيراً لا يملكون أى نوع

من الأسلحة التى يدافعون بها عن أنفسهم "فلا ينتظر أحد أن يدافعوا عنه" وفى كل الأحوال يسلمون أمرهم لخالقهم.. ومعظمهم لا ينظر إلاّ تحت أقدامه.. ولا يملك إلا طقة يوم بيوم، فكلمة الفقر لها أكثر من مدلول!

والأغنياء الذى لم تجعلهم الثورة على "الميح".. وحافظت عليهم كأغنياء ومساتير "بدل ما يملك الواحد عشرة آلاف فدان وحده" منحته الفرصة بأن يوزع الأرض المملوكة له.. على عائلته.. فصارت العائلة تمتلك تسعة آلاف وثمانمائة فدان، والمائتى إلفدان البور تم تسليمها للإصلاح الزراعى.. وزعت على الفلاحين.. كى تطلع روحهم فى إصلاحها.. وزراعتها حتى يأتى يوم.. تستعين فيه العائلة بسيادة القانون لتسترد ما أخذ منها عنوة.. غير مبالين بـأنهم قبضوا ثمن الأرض البور على داير مليم!

والمسألة المالية فى معظم الأحيان.. تكون من ذقنه وإفتله. فأصحاب المال لديهم ذكاء خارق ليظلوا أصحاب مال ونفوذ، أما الفقراء.. فهم بتوع ربنا.. يتكلون على أن رحمة الله واسعة، وإنهم لن يباتوا من غير عشاء..

وفى ذلك يرى الأغنياء بأن إذا ما تخلى "الزعماء الدكتاتوريين" عن الفقراء، وتركوهم لهم. فهم سيجمعونهم فى قطعان ويقودونهم إلى السلخانات. بينما الفقراء يلهجون لهم بالدعاء من مهجة القلب!

ويكفى التلويح بالفلوس "آه من الفلوس ولها فعل السحر" فهنا يمكن الإمساك بقرون كبيرهم فيتبعه الألوف كالقطيع.. والجميع يتطلعون إلى ما بيد الأغنياء من حزم "البرسيم" وليست صدفة أن تكون الدولارات خضراء أيضاً وجذابة جداً.. كما البرسيم بالنسبة للخرفان والماعز.

والجماعة اليساريين.. بدأوا جماعات صغيرة.. ثقافية، وإنتهوا إلى كونهم جماعات أصغر وثقافية أيضاً..

إذ أن عشقهم للكلام ينصب على الكلام.. كما عشق الفن للفن.. قد يكون علاجاً نفسياً.. أكثر منه أفعالاً..!

والمثال.. كان الرجل السياسى القديم "حمدى سكروتة" الذى يتبعه مرشد أمنى منذ كان شاباً فى الستينات حتى صار ستينى فى التسعينيات.. كلاهما شعره شاب وظهره إنحنى.. السياسى العجوز سكروتة يتكلم فى السياسة. والمرشد الأمنى يسجل ويكتب كل ما يسمعه منه !

كان لابد أن يقتنى المرشد تسجيلاً يابانياً.. أو ألمانياً، من التسجيلات الحساسة التى تستطيع أن تسجل عن بعد، ولعدة أمتار وبصوت نقى للغاية.

وإذا ما لحظ السياسى والمرشد التابع له أن "ترابيزة فتح الله" صارت عامرة بالشباب المتحمس الذى يرفض للرفض.. تقدم السياسى حمدى سكروتة ليدير المكلمة، ولصق فى ظهره الرجل الأمنى الذى يأخذ عمله بجدية وصرامة.. وقد لاحظت أن السياسى العجوز حمدى سكروتة، صار يستأثر بالمكلمة.. يتكلم ويرد على أسئلة الشباب التى يسألونها، والتى يفترض بأنهم سألوها، حتى أننى كنت مع فتح الله، من حين لآخر، ننظر إلى الرجل الأمنى المنهمك فى عمله، ونشفق عليه.. كيف يمكن أن يتابع تدفق السياسى حمدى سكروتة، الذى ما يكاد ينتهى مما عنده. حتى يقوم منتوراً ويدفع حساب "كل مشاريب الشلة" الذين حضروا الإجتماع

أفكر بأن ألفت نظر حمدى سكروته وقد إستمتع بما قاله بأن يدفع أيضاً حساب المرشد الأمنى، فهو يدفع ويستدير منتشياً ويسلم على الجميع باليد.. ثم يحتضن صديقى فتح الله "وكأنه يودعه، مع أنه يفعل ذلك أكثر من ثلاث مرات أسبوعياً" يبوسه من خديه.. ويحتضنى ويطرقع ببوستين فى الهواء بجانب أذنى.. وينصرف..

وفى أعقابه يقوم المرشد الأمنى "متسانداً على ظهر مقعد"، لعله يعانى مثلى من متاعب فى الساقين.. ويزك قليلاً فى

الخطوات الأولى.. ثم تبدأ سرعته فى أن تأخذ وضعها الطبيعى ليلحق بالسياسى القديم حمدى سكروتة..
الذى ما يزال يجرى كما الرهوان!
أعاتب فتح الله، إذا ما إنفردت به؛
"كيف يترك المجال لحمدى سكروته" يعيد ويزيد فى الآيدلوجيا القديمة التى إنزاحت أمام العولمة، وتركت بغداد تغرق فى حرب الخليج الثانية حتى يشفط بترولها الأمريكان ولا أحد يقول "بـم"
وأختم عتابى قائلاً:
– طبعاً إنت مبسوط مع الشلة إن الأستاذ حمدى سكروتة يقوم ويدفع حساب الطلبات.. ألا ترى إننا نعيش سفلقة على حساب السياسى العجوز.. أول ما يبدأ الكلام، عم خميس يصير كالمكوك ذهاباً وإياباً على الترابيزة.. كل ربع ساعة تشرب مشروب.. هذه مسألة تعرقل دخولنا الجنة!
لكن فتح الله يتحدث عن جنة يمكن أن تنشأ على الأرض، يقول "لابد وأن نستأذن من ربنا ونعملها.. مؤكد وهو الرحمن الرحيم سوف يسمح لنا ويكون راضياً"
أقول لفتح الله:
– ما دامت الجنة تقوم على الهدوء النفسى والبنات الحور.. لماذا لا تعود إلى شقة منال فى العجمى؟ وتبطل عط؟! ينظر إلىّ مستغرباً لإستخدامى لكلمة "عط" فأقول:
– أصلك من يوم ما نمت ليلتين فى المستشفى الإستثمارى وإنت إتغيرت خالص يا فتح الله.
يغمغم:
– ودى مستشفى.. دى جنة.. لو إنت نمت فيها ليلة واحدة لكنت إنحرفت!!

(٢٣)
عفريت الأخ كراكيبو

▭ لا تواخذني يا صديقي.. أصارحك.. إنت في الواقـــع لــك حالات غريبة.. فاتح صدرك، طريق أتوستراد.. ولا تدقق كثــيراً فيمن يركنوك على الرصيف ويبثون الألغام في طريقك

كما أنك تعرف رأيي مسبقاً "بأن صاحب كل الناس، ليس له صاحب عزيز، مما يسمى خليلاً" مع إنك في سلسلة أصدقـــائي يأتي مركزك في المقدمة.. وبعدك فراغ كالصحراء.. وهناك بعيداً بعيداً.. يأتي الذي يليك.. "فين وفين" لما أصاحب شــخص مثــل "كراكيبو" الذي يدهشني دائماً بحكايته عن العفاريت، وتمكن منك تماماً..

كراكيبو "كمال كامل كمونة" وأنت عندما نطقــت إســمه لأول مرة.. نطقته "كراكيبو" ولما لم يعترض وضحك من غرابـــة الإسم.. عرف في شلتنا بهذا الإسم الذي لو كان لاعب كرة قدم، أطلقه على نفسه، بعد مبارة واحـــدة.. ســيصير فـــي شـــهرة "الخطيب".

كراكيبو شخص حبوب وخدوم جداً.. وحقيبته مملـــوءة بالكراكيب التي لا ضرورة لها الآن، والكراكيب التي لا ضـــرورة لها اطلاقاً.. فهو من الناس الذين لا يمكن لأحد أن ينساهم كـــا لممثلين الذين يقومون بأدوار الشر بإسلوب ظريف ودم خفيف.. وسيحبهم المشاهدون طوال عرض الفيلم.. حتى وهم يرتكبـــون الموبيقات، ويمارسون الإجرام والمعاصي..

من بداية تقديم التتر حتـــى قبيـــل النهايـــة مباشـــرة، يستحوزون على إعجابنا، لذلك كنا نموت عشقاً في فريد شوقي ومحمود المليجي، وتوفيق الدقن، وإسطفان روستي، ومحمـــود إسماعيل.. وغيرهم من رؤساء العصابات، القتلة، اللصوص،

المحتالين.. الحرامية الناشفين.

وكراكيبو يجمع ملامحه من كل الذين قاموا بأدوار الشر وتعلقنا بهم.. ولكنه يقترب أكثر إلى أن يشبه إسطفان روستى فى طريقة كلامه وإيماءاته..

منذ أن تعرفنا به جعل الشلة تتعلق به.. وتسوح فى مغامراته التى هى دائماً ضد الشرطة، وتخالف القانون..

كراكيبو كان شريراً ظريفاً.. يتكلم عن نفسه فى الوقت الذى يتكلم فيه عن شخصيات أخرى روائية وخيالية، "ويؤكد بأنها من تأليفه" فلا نرى أمامنا إلا.. كراكيبو.. بطلاً لكل الحكايات، والقصص والروايات التى يتعرض لها

وهو يعلم بأن شلتنا تجتمع حول الأدب.. نقداً أو تأليفاً.. والذى أدهشنا أن الستارة كانت تنفتح عن شخصية كراكيبو المتمازجة مع عديد من الشخصيات

فإذا بنا أمام شخص له علاقات، لا تستطيع تحديدها بدقة،، علاقات مع نشالين وهجامين ولصوص ومجرمين المدينة السمهرية..

ويعرف كيف يأتى لك بما تفقده فى باص مزحوم بالمنشية، أو تفقده أمام شبابيك قطع بطاقات الدخول للأفلام ذات الجماهيرية، أو حتى عندما تنشل حافظة نقودك، أو تفقد شيئاً ثميناً وأنت مستغرق فى مشاهدة عروض الفاترينات فى شارع سعد زغلول.. أو شارع صفية زغلول.

مجرد أن يعرف منك "المكان" الذى فقدت فيه ساعتك أو نظارتك. أو حافظة نقودك.. حتى يمسك بجبهته ويغمغم.

– المنطقة دى بتاعة مين ياربى.. ياربى.. آه..

بعد أقل من دقيقة يعطيك أوصاف شخص "أو شخصة" إقترب منك أو شاهدته فى الزحام.. أو كان يشاهد معك عرض الفاترينات وإذا ما تذكرت هذا الشخص "ذكراً كان أو أنثى" قال لك: " هذه المنطقة تخص "أنوسة وفوزى وعلوان وحندوسة.. و.. الذى نشلك هو فوزى"

دائماً يضع على رأسه كاسكيت وعلى عينه نظارة غامقة..

وإذا ما أكدت له بما أمكنك تذكره، سيترك لـك حقيبتـه التى تزدحم بالكراكيب، ويذهب إلـى جبـل ناعسـة أو البـاب الأخضر، وأحياناً إلى كوم الشقافة.. ويأتى لك بما ضاع منـك.. إن كان حافظة نقود فسوف يخصم ربع ما بها من نقـود.. وإن كان شيئاً قيماً يثمن وعليك دفع قيمة الربع.. وسوف يضع مـا يحصل من نقود أمامه على الترابيزة فى المقهى، ويندمـج فـى المناقشات الأدبية والفنية.. وأحياناً السياسية.. وأثنـاء حالـة الإندماج سيمر شخص خلف كراكيبو.. وسـيربت علـى كتفـه، فيقوم كراكيبو بدفع النقود التى أمامه فى اليد التى إمتـدت، ولا ينظر ذلك الشخص فيما يحصل عليه، سيدس الفلوس فى جيبـه ويولى ظهره للشلة ويمضى لحال سبيله.

وكراكيبو يزعق فى ظهره:

- "طيب أشرب حاجة. سلم لى على الحاج.. وقل له متشكرين

مشكلة الأخ كراكيبو.. ليس لأنه يكتب الأغـانى بمعـدل أغنية كل ثلاثة أيام "إذ قدم لنا عشرة أغانى خلال الشهر الأخير" ولا لأنه يحاول بإستماتة أن يكتب قصة فيلم سينمائى من نـوع "جعلونى مجرماً" ولا ينى يبحث عن مخرج روائع يعتد بما يمـلأ به عدة كراريس..

وقد جهز معظم أحداث الفيلم.. وكتب له "إسكريت" وفى الصيف، ينوى أن يعرضه على السينمائيين الذيـن يصيفـون، ولأنهم يصيفون فهم يرجئون بحث أحداث الفيلـم.. إلـى حيـن عودتهم إلى أعمالهم فى القاهرة

ويعقب الأخ كراكيبو:

"طبعا القاهرة.. تنسى الجن.. إسمه"

مشكلة الأخ كراكيبو أنه قبل ما يسمع بحكايات صديقنـا فتح الله.. حول الملائكة التى تأتى مـن السـماء فـى صـورة فراشات ملونة لمسـاعدة المـأزومين، والضـائقين والفقـراء والبؤساء.. هو الذى راح يتكلم عن أحداث بطلها "عفريت" يسكن

فى بيت العائلة، البيت الذى إنفرد به شقيقه الكبير دون أخو ته الأربعة.. وقد قدم لنا كراكيبو جملة من الأحـــداث كـــان بطلهـــا العفريت الذى أرغم شقيقه الكبير مع أسرته على تـــرك مـــنزل العائلة.. وإستئجار منزل بعيداً عنه.. وكيف أنه يحاول مصادقة العفريت، ومعرفة أصله، إن كان خبيثا من النوع الأزرق.. أم إنه طيب من النوع الأحمر الذى يتضرج وجهه بالخجل!

وكنت أعقد لسانى على عبارة "ما عفريت إلا بنـــى آدم يا كراكيبو" أمسكت أعصابى بصعوبة حتى لا أنفجر فى وجهـــه.

ولكن ما كان يهدئ من ثورتى أن صديقى فتح الله "حزام الشلة بالمقهى" يكون مستغرقاً فى الإستماع لخرافات كراكيبو بإهتمـــام بالغ. أندهش، كيف يسيطر كراكيبو "الأونطجى". علـــى شـــخص "حبرتجى" مثل فتح الله المحامى الأديب المدهش؟

وإذا ما تحدثت عن مخزن الخرافات المتمثل فى شـــرقنا السعيد والذى ينقصه خرافات جديدة يقولهـــا كراكيبـــو، ســـارع فتح الله وقطع علىّ الطريق، فهو يكاد يحدس ماذا بعـــد قولـــى هذا.. إلا الصدام مع الأخ كراكيبو، الذى سحر الشباب بحكاياته..

وفى معظمها.. العصابات الخارجة عن القانون.. هى التى تفوز على الشرطة، وتهزم الضباط والعساكر الذين يكون منوط بهـــم المحافظة على القانون!!

يقول لى فتح الله:

- أترك كراكيبو على راحته.. فأنت تتركنى على راحتـــى وأنـــا أكتب عن الملائكة فى صـــورة الفراشـــات الملونـــة ولا تدقـــق يا عبدو.. فمن ذا الذى يكتب قصصاً حقيقية، الحقائق لا تصلـــح إبداعاً..

إحتفاء صديقى فتح الله.. بالأخ كراكيبو لم يكن عاديـــا، نحيت غيرتى عليه جانباً، فاكتشفت بأن الأخ كراكيبو متعاقد مـــع "أشرار" الإسكندرية "بما فيها الضواحى" بكنتراتو.

وسمعت من يقول عنه "أنه عصبجى" مر بمراحل التشرد

من الحضانة إلى الدراسات العليا.

وسمعت من يؤكد بأن كراكيبو عاش فصولاً كاملة من روايته "الدغف" مما يجعلها مذكرات وليست رواية، فهي تبدأ بالأيام التى تعلم فيها السرقة. ويتخلل ذلك جملة من الأحداث، أهم حدث فيها هو "السجن" وفى السجن سيتعرف على مجموعة من الهجامين واللصوص وتجار المخدرات، وسيعمل مع الجميع، ويفلت من القتل عدة مرات ويثرى.. وتضيع ثروته.. وبعدها سوف يستقر فى عمل تجارى بسيط فى سوق سوريا، وسوق الزنقة بالمنشية، وعلى أثر إنهياره الإقتصادى ستنفصل عنه زوجته طاما.. ولا توافق بأن تقف معه على "فرش" تبيع الملابس الجاهزة المهربة من الدائرة الجمركية، أو البضائع القادمة مع الإسرائيليين بدون ماركة "وحتى يتقن فن التخفى" فقد قرأ نصف مكتبة سجن الحضرة "لذلك فهو يتكلم كما يتكلم المثقفون، ويبرع فى نظم شعر العامية متأثراً بفؤاد قاعود" وصلاح جاهين، وعدد من عوالم "البباصة" يغنون له أغانى عن الصبر الذى فى مرار الصبار!

وعلى ضوء ذلك حاولت قبول غرائب الأخ كراكيبو وأدركت لماذا يتعلق به صديقى فتح الله.. ورأيت أنه إنسان ودود للغاية، وله روح مرحة، ويمكن أن يقلب أى موضوع نكد إلى أن يكون موضوعاً كوميدياً يغطس الحضور من الضحك.

إلا أننى كنت أخشى تأثيره الكاسح على مجموعة الشباب،صغار السن،الذين يحضرون على ترابيزتنا، فيما نطلق عليه "تدوتنا"

وكذلك على صديقى فتح الله الذى أشاد النقاد بعبقريته الإبداعية فى مزج الحقيقة بالخيال

والدكتور فى الجامعة تحدث عن ملائكة فتح الله التى تظهر على شكل فراشات ملونة..

ولعل السرحات الإبداعية للأخ كراكيبو بصديقى فتح الله.. وهى سرحات ملغمطة بالخرافات والمعجزات وظهور

وإختفاء العفاريت.. قد أثارت الناحية الفنية عند صاحبى فتـــح الله وسحرته

والأخ كراكيبو.. إذا ما أمسك بناصية حديث يستطيع أن يلضم عدة حكايات مثيرة فى حكاية واحدة ولا ألف ليلـــة وليلـــة وهى حكايات سوف تزخر بالأبالسة والشياطين الملونين بالأزرق والأحمر

"للحظة تذكرت علم الدولة العظمى، ثم صرفته من ذهنى" إذ أن الشياطين الزرق والحمر وجدوا قبل وجـــود ألـــوان هـــذا العَلم.. ولكل شيطان وظيفته.. كمــــا أن هنـــاك شـــياطين أولاد أبالسه.. هناك شياطين يضربوا لخمة قدام المشـــاكل ولا البنـــى آدمين!

وكل شيطان من شياطين الأخ كراكيبو أطلق عليه إســـم دلع إسكندرانى.. مثل بحبح وحوده.. ودوقة،وأبو سته،وقبارى، وحبشى والنن.. والميح..

وجميع الأحداث التى تشارك فيها شياطين الأخ كراكيبو فى حواديته أو حوادثه.. هى أحداث لو دققنا فيها ســـنجد أنهـــا أحداثاً تكاد تكون معروفة للإسكندرانية.. كحادثة ريا وســــكينة، وسفاح محطة مصر.. وسفاح كرموز.. مغامرات ســـند كهربـــا مهرب المخدرات، وما تبقى من رزائل ومساخر ورمى جثت ممن يسمونهم الفتوات، وكثيراً منهم كان حامياً لعـــدد مـــن البيـــوت البطالة.. والمقاهى التى تقدم المخدرات مع الطلبات!

وجميع الشخصيات التى يقدمها كراكيبو إما ســـكيرة أو حشاشة، ودائما يلعبون بالفلوس لعب. مع أن ليس لهم وظائف أو أعمال محددة، وعدد كبير من الشخصيات لهم تصرفات شاذة، ومعظمهم يشتبك مع الشرطة فى معارك دامية "عادة ما تنتصـــر شخصيات كراكيبو" على الشرطة،وتتفوق على ذكاء الضباط بأية وسيلة..

حتى ولو إضطر أن يجعل شخصياته تســـتخدم البنـــادق سريعة الطلقات،والمدافع المضادة.. والدبابات والطيارات

وبوابير البحر..!

وضقت.. قلت لصاحبى فتح الله:

- على فكرة.. الأخ كراكيبو بيسرح بالعيـــال.. وإنــت بـــالذات بيسرح بك.. قال صاحبى فتح الله:

- وماله يا أخى.. هى سرحات فيها إبداع جميل.. أنها السرحات التى تتضمن روح الإسكندرية التهويشية مع دمها الخفيف

وأضـــــاف:

- كما أن طريقته تلحس.. تعرف تعمل زيّه؟!

ولم يكن أمامى إلا أن أستمع وأستمتع بما يدفع به الأخ كراكيبو من موضوعات، على أساس إنها نوع من التسلية وقتل الوقت.. ولكن ما أزعجنا وجعلنا نعيد النظر فـــى خــبرات الأخ كراكيبو.. أن باب المخزن الذى به الســكر والشـــاى والمعســل بالمقهى، وهو باب غليظ به طبلة ذات ثلاث تكات "فوجـــئ عــم عبد العزيز الجرسون بفقده للمفتاح الذى كان فى عهدته" ولمـــا طرح المشكلة على ترابيزتنا، حزيناً، بأنه سيضطر إلـــى كســر الباب وإتلاف الطبلة الألمانية

قام الأخ كراكيبو فى هدوء،وصحب حقيبتـــه المزدحمـــة بالكراكيب،أخرج من قاعها مسماراً دقيقاً.. وسلكتين صلب،وأخذ يعالج طبلة الباب المتربس،

وما هى إلا ثلاث دقائق،حتى فتح الباب،ولم يتركـــــه إلا بعد أن ولف له مفتاحاً من سلسلة المفاتيح التى تخصه، مستعيناً بمبرد رفيع..

وقدم المفتاح لعم عبد العزيز،بعد أن جربه مراراً.. وعم عبد العزيز الجرسون أخذ يلهج بالشكر

وقد عاد الأخ كراكيبو إلى مجلسه بيننا،يواصل حكاياته العفاريتى، ونحن أعضاء شلة "فتح الله"..نتبادل النظـــرات فـــى صمت.. أكاد أسأله:

- إنت حرامى يا أخ كراكيبو؟! أقصد شغلتك إيه بالضبط؟!

(٢٤)
إختفاء كراكيبو وظهور طاما

الأخ كراكيبو الظريف، والذى يستطيع فتح أى باب مغلـق بسلكتين صلب رفيعتين ومسمار مبطط من الأمـام مثـل المفـك الصغير "مع أن عمره يا دوب أربعين.. خمسة وأربعين"، وشكله ممصوص، كما الخواجات الجريج أو الطليان.. كان جلد وجهه مع رقبته كما جلد الفراخ بعد ذبحها ونتف ريشها.. أصفـر بـاهت. وله نفس التحبيبات الدهنية، ويتميز بأن شـعر رأسـه الغزيـر الناعم تميل أطرافه إلى اللون البنى الفاتح، أما جذوره فسوداء.. وطريقة كلامه فيها لكنة خواجاتى.. حتى طريقته فـى تدخيـن السجائر.. يمسك بالسيجارة بإصبعين، ويجعـل مـن الأصـابع الثلاثة الأخرى حماية لزهرة السيجارة.. يلهف النفس قصـيراً، ويخرج الدخان إما إلى فوق، أو إلى تحت، كمن إعتاد التدخيـن "المؤدب" بين جماعة يحرص على أن لا ينفخ فى وجوههم.

الأخ كراكيبوا الذى أغرم فتح اللـه.. وبـاقى الشـلة.. بحكاياته العفاريتية حتى التى تكون صارخة بالخيـال.. فمعظـم حكاياته يتصادم فيها أبطاله الخارجون عن القـانون بالشـرطة، وضباط الشرطة، وعادة ما يفوز أبطاله فوزا سـاحقا ماحقـا.. فتلبد حكايته بنتائجها فى أذهاننا، نقلب فيها، وتسيطر علينـا. وكأنه يصحى بداخلنا ذلك الميل إلى التمرد والثورة على الخطوط المستقيمة.. يرى فيها فتح الله أعمالاً فنيه.

وأرى أنا فيها أعمالاً شديدة "المعز" تنافس أقوال "ابو لمعة".

لأكثر من عام.. كان الأخ كراكيبو يشاركنا ترابيزتنا فى المقهى، يحلو للبعض أن يطلق على اللقاءات التـى تتـم علـى

ترابيزتنا "تدوات" وتقال "تدوتنا" وقد صار للأخ كراكيبو القـــدح المعلى، والشباب صاحب الزغب الأصفر يتعلقون به، جعلوا منه "الأستاذ" بغرض تعدد الأساتذة، وقد بذل الأخ كراكيبـــوا جهـــداً عظيماً في إثبات أنه حالة فريدة لا يمكن تجاهلها، حتى مع وجود فتح الله عبده فتح الله.

والمفاجأة التى صعقتنا..

• ما نشرته الصحف حول "مقتل الشقى كمال كامل كمونه أثناء ضبط تشكيل عصابى لجلب المخدرات فى عجلات السيارات فى نواحى العجمى وسيدى كرير »

"قامت العصابة بتصبين العجلات فى شـــاطئ العجمـــى وأثناء سحب العجلات التى أسقطتها إحدى المراكب التركيـــة أو اللبنانية "تضاربت التصريحات عن البلد صاحب المركب" ولكـــن التصريحات إتفقت على أن المستورد أو جالب المخـــدرات هـــو "عزوز كهرباء" المهرب الدولى، ويقال أنه عضو بـــارز بمافيـــا الشرق الاوسط، وقد قامت قوة المكافحة بحصار المهربين وقـــد تبادل الجانبأن إطلاق الرصاص، وقد أدى ذلك إلى سقوط ســـتة قتلى، ثلاثة من الشرطة.. وثلاثة من المهربين.. أحدهم هو الأخ كراكيبو، وصورته المرفقة مع الخبر.. حديثـــة.. كمـــا إعتدنـــا مشاهدته بيننا، تزين الجرائد القومية الثلاث، وعدد آخـــر مـــن جرائد المعارضة المسنودة بالإعلانات الحكومية.. وثمة تفاصيل عن الشحنة بالأطنان ودور المرشدين.. وأسماء الضباط الكبـــار التى تبدأ من وزير الداخلية إلى أصغر ضابط إشترك فى الحملة.!

لكن عند قراءة مزيد من التفاصيل تبين أن الأخ كراكيبو هو زوج للسيدة طاما "فاطمة على محروس" وهى سيدة بيت لم ترزق منه بأولاد، وقد تبنى إبنتها مـــن زوج ســـابق وجعلهـــا باسمه.. وأن السيدة طاما عندما أحضرتها الشرطة للتعرف على جثة زوجها، تشككت بأن تكون الجثة له شخصياً "إذ أنها مرتين

قالت "هو" ومرتين قالت "ليس هو"
والشرطة تمسكت بتحرياتها وإجراء ما يثبت أن المقتول هو كمال كامل كمونة.. الشهير بكراكيبو!
وامام هذا الموقف.. وقفت شلتنا موقف الذهول ثم بدات التعليقات "في إستحياء" على ما حدث..
قال الأخ فتح الله:
– مؤكد إن كراكيبو شرير.. ولكنه شرير ظريف.. وأمثال هؤلاء لا يموتوا ويندفنوا فى الأرض. بل فى السماء.. لأنه بصرف النظر عن مسألة إشتراكه في التهريب من عدمه، يعتبر زميلاً مبدعاً.. وكان ينتظره مستقبلاً عظيماً.
وأخذ يهز رأسه ويغمغم:
– يا للأسف.. يا ألف خسارة.. يا لسوء حظ الإسكندرية؟!
ولعل التحريات دلت الشرطة بأن كراكيبو كان يشاركنا ترابيزة الندوة فى المقهى مرة اسبوعياً على الأقل، ولمدة تزيد عن عام بقليل.
فقد حضر إلى مقهى "البنور" رجلان عملاقان. لكنها ليس العملاقان اللذان "يطقان" صديقى فتح الله دائماً.. وعلقاني مرة،لأمور تخص الأمن العام، جاء الرجلان ليتحققا من أشياء تخص الحكومة!
قاما العملاقان بتعريف نفسيهما "بأنهما من الأمن" دون أن يجلسا معنا مما إضطرنا جميعاً أن نرفع وجوهنا ونجعلها أفقية فنراهما أطول من عمود المقهى الغليظ الذى نجلس فى حماه.. ونظر أحدهما فى وريقة معه بقدر كف اليد. وذكر اسم فتح الله، واسم عبد الفتاح، وإسم عبد المولى، وعبد الهادى، وإبراهيم، والآنسة علوية الفكهانى وعزيزة ومنال وعادل.. و..
كل من ذكره العملاق قام واقفاً حتى وقف نصف الحضور حول الترابيزة.. إذ لم يتبق إلا الشباب صغير السن والذى يعارض للمعارضة. ولا يلتفت أحد لمعارضاته، فيزيد من تلك المعارضة!

وتباعد العملاقان "كستارة تفتح" فظهرت بينهما سـيدة فى متوسط العمر. على شئ من السمنة،وخاصـة فـى الأرداف، ترتدى الملابس السوداء على الموضة، جوب، وبلوز وبلوفـر.. وتجمع شعرها الاصفر "بدا أن صفاره غير طبيعي" فـى توكـة سوداء عريضه من حرير لامع -ولكن وجهها الأبيـض بـاهت ويخلو من الأصباغ والكحل، بدت وكأنهـا سـيدة بيـت تلتقـى بأشقائها بدون زواق.

قال العملاق الذى ذكر الأسماء من وريقته:

- يا ست طاما.. هل لك سابق معرفة بهؤلاء الأشخاص.

السيدة طاما "والتى أدركنا بأنها زوجة الأخ المرحـوم كراكيبـو" تفحصتنا واحداً.. واحداً.. وتوقفت عند فتح الله.. وقالت:

- سمعت بأسمائهم من زوجى كمال.. لكن هذه هى المرة الأولى التى أشاهدهم فيها.

ورفعت وجهها للعملاق الآخر وقالت:

- دول أصغر كثيراً مما كنت أظن.. أنا كنت فـاكرة.. مـاداموا بيقعدوا فى المقهى.. إنهم معلمين كبار.. خصوصاً إن أسـمائهم فتح الله وعبد الفتاح وعبد المولى.. فكرت أن المعلمين لعبـوا فى مخ ز[illegible]ى حتى ضموه إلى عصابتهم.

بدا أن العملاقيـن أصيبـا بخيبـة أمـل فتدخـل عـم عبد العزيز الجرسون مؤكداً،وهو يشـير نحونـا،بأننـا أدبـاء محترمين.. كل ما يشغلنا هو الإبداع القصصى لاغير !

- قال العملاق الذى بيده الوريقة بالأسماء موجهاً كلامه للسـت طاما:

- يعنى نأخذهم معنا؟

هزت الست طامة كتفها فى إستهانة وقالت:

- على إيه بقى!!

فقال العملاق الآخر:

- لا تآخذونا يا جماعة.. أصل جثة كمال كامل كمونـة الشـهير بكراكيبو، بعد معاينتها، وأثناء نقلها إلى المشرحة من موقع

الحادث.. إختفت، ولم يعثر لها على أثر !

إبتسمت إذ أن إسم كراكيبو الذى أطلقه فتح الله.. صار منتشراً،والعملاق الذى بجوارى نظر إلىّ شزراً فتبخرت الإبتسامة.

شئ من البهجة وضح على وجوه الشلة بما فيهم فتح الله.. مار نفس الشئ فى صدرى.. وقد تصورت بأن الأخ كراكيبو قد إستعان بعفاريته.. وهرب..

الشلة إبتهجت لأن حكايات كراكيبو كانت تنتهى دائماً بإنتصار أبطاله على الشرطة.. وها هو يفعلها..

وكانت السيدة طاما تنظر فى عينى فتح الله. وعينا فتح الله أبيضان فى الوجه الغامق، وكان يبادلها نفس النظرات الحانية،حتى كدت أتصور أن هناك سلكاً لامعاً ممتداً بين عينيها وعينيه..

ماذا تقول عيونهما..؟

"الله أعلم.."

لكن فى ظنى،أن ما يقال ليس سيئاً، فقد تورد وجه الست طاما. وكان على وجه كل منهما شيئاً من الراحة.. وكأنهما تعارفا من خلف ظهورنا..؟!

(٢٥)
رائحة المسك

☐ من منّا لم يلعب يوماً مع الملائكة؟
والملائكة حولنا، تسكن الهواء والفراغات.. عندما ندخل عليهـــا نقول لها "دستور يا أسيادى" أو نقول "دستورركم" أى أننا تمشى على هواكم
والملائكة مشرفين على أكتاف البنى آدمين.. ملاك على الكتف اليمين يسجل الحسنات، وما أقل عمل هذا المـــلاك الـــذى يمكن أن تشبهه في عمله بعمل الموظفين الحكوميين بتوع الكذا توقيع على كذا ورقة.. ثم يتنهد من التعب.
والملاك الثانى على الكتف الشمال.. يســـجل الســـيئات. شغال كما موظفى الرقم القومى والسجل المدنى.. زحـــام كبـــير عليه، وهو يعمل بقدر ما يستطيع.. حتى أثنـــاء نـــوم صـــاحب الشغل..؟
ولعل ليس هناك علاقة تذكر بين أن يكون ملاك الكتـــف اليمين يمينى، ومختص بالحسنات.. ومـــلاك الكتـــف الشـــمال.. يسارى، ومختص بالسيئات، فالناس الألاجة أصحـــاب الأمـــوال والأراضى والعمارات والسيارات.. والمصانع والسوبر ماركات.. ومكاتب التصدير والإستيراد.. جميعهم يقال عنهم "يمين" أى من الذين تسجل عندهم ولهم الحسنات. أما الآخرين الذين يعملـــون عندهم.. ويشترون سلعهم، ويأكلون طعامهم "الفاسد أحياناً" ومن بينهم الذين يزعجونهم بمطالبهم.. فقـــد نجمعهـــم، تحـــت بنـــد "اليسار" موضوع شغل الملاك اليسارى، مسجل السيئات "
يضحك الأخ كراكيبو ويقول:

- والأمر لن يكون بتلك الدقة فى الإسقاط. فإن ملاك الحسنات وملاك السيئات.. الإثنان ملائكة نوارنيان ولا فضل لأحدهما على الآخر.. هما سواسية عند الله سبحانه

- أما عند البشر.. بعض البشر الطغاة.. فهم لا يسامحون كما الرب، ويظنون بأنهم تحت ستار اليمين بتاع الحسنات داخلين الجنه لامحالة. فماذا عند الفقراء العصبيين الزهقانين السبابين الجائعين ليصعد بهم.. حتى يتم الزج بهم فى جنة الخلد؟

يضحك الأخ كراكيبو من قلبه ويسرح بنا:

- حتى إذا ما أمضى الفقراء أعمارهم في العبادة.. يحتاجون لمن ينفق عليهم.. ولو من الباب السرى، والطبيعى أن ذلك الباب سوف يعتبر حسنة جارية مضروبة فى عشرة، حسنة على أصولها، فاليد اليسرى لن تعرف ماذا أعطيت اليد اليمنى.

"تلك كانت بعض أفكار الأخ كراكيبو..

تركها لنا نقلب فيها، وخاصة بعد أن تكشف لنا بأنه "مصيبه مسيحة"

ومع أن كراكيبو قالت عنه الحكومة بأنه شخص شرير ومهرب مخدرات، وطول عمره عصبجى "فنحن لا نصدق الحكومة" وقد رأى أخونا فتح الله "حزام الشلة" أن الله سبحانه سوف يسامح الأخ كراكيبو ميتاً كان أو حياً.. ولو مات فإن قبره سيكون فى السماء.. والدليل المؤكد أن جثته تبخرت واختفت، وإن قدرات الله واسعة ومعجزاته لا حدود لها

وصار فتح الله يلح ويصر بأن من يدفن فى السماء ستظل سيرته عطرة.. وكلما جاء أحداً بسيرته.. فاحت رائحة المسك.

ويصيح عم عبد العزيز الجرسون:

- ونعمة بالله.. صلى على النبى ياجدعان؟

ورواد مقهى "البنور".. وخاصة من الشباب الذى لم يتعد الخامسة والعشرين.. صدقوا بأن الأخ كراكيبو "أستاذ" وصاحب معجزات.. إذ أن كلامه كان عن العفاريت والملائكة.. كما أن التجربة أثبتت أن الأساتذة مثل حمدى سكروتة، وفتح الله عبده فتح الله.. وكراكيبو.. إذا ما منحوا فرصة لإدارة "المكلمة" يقوم أحدهم ويدفع حساب المشاريب..

وإنهم بذلك يتحولون إلى رسل للأيام التى كثر فيها المتعطلون.. وصارت الأعمال الكبرى والصغرى المكتبية والفنية والإدارية والإعلامية.. تورث كما أيام الإقطاع والمماليك.. "لإبن غير قادر من أب قادر نافذ النفوذ"، وماعلى المتضرر إلا اللجوء لسبحانه يناجيه شكواه ويتجمل بالصبر!!

ولعل ذلك ترك نوعاً من التحدى "للحكومة" فى النفوس، والحكومة فى تجسمها المادى.. هى "رجل الشرطة" فإذا كانت الشرطة هى التى تشوه سيرة الأخ كراكيبو بما يشيعوه عنه بأنه صاحب ومدير "كوبانية" الشر والرزالة فى أكثر من موقع بالمدينة السمهرية.. فالشباب حولوه من طين أبليزى بشرى، إلى نور وضاء سابح فى الملكوت، وعلى الفور أسقطوا جميع التساؤلات التى تثار عن واحد كان زوجاً للست طاما.. عريضة المقعدة، والتى إرتدت الملابس السوداء على الموضة، وعيونها تضرب كشافات، بحثاً عن رجل مناسب يحل محل الفقيد.. وهي لم تصبر حتى تنتهى أيام الأربعين -العادة الفرعونية لإعادة دفن الميت بعد تحنيطه- ومنذ أن شاهدت "فتح الله" لا يدرى أحد كيف إتصلت به على تليفون المقهى.

جاء عم عبد العزيز الجرسون وهمس فى أذن فتح الله:

- تليفون ستاتى يا أستاذ

إبتسم فتح الله وكأنه يعرف من التى تطلبه على الطرف الآخر، وقام يرد على التليفون المحطوط على مكتب عم شفيق "شريك بالتلت في المقهى ويديرها بأجر"

عم شفيق يشاهد دائماً نائماً ورأسه على صـــدره إذا ما رن التليفون لا يتململ ولا يمـــد يـــده لـــيرد.. يـــترك ذلـــك للجرسونات،وخاصة عم عبد العزيز.

عم شفيق يتململ إذا نسى أحد الجرســـونات أن يرمـــى بالماركة على البلاطة..

تقدم فتح الله،وحصل على البوق وضعه على أذنه وأخذ يسمع ويسمع.. ويهز رأسه وإبتسامته صارت واسعه..
أظهرت أسنانه البيضاء فى وجهه الأسمر الغامق..

والشئ الذى أربك مناقشات الشلة.. إذا ما تناولت سيرة الأخ كراكيبو.. واستعادت أقواله وأفعاله، هنـــا يحـــدث فوحـــان لرائحـــة المســـك.. مختلطـــة بـــالبخور الجـــــاوى.. وعـــم عبد العزيز الجرسون.. يلعلع بذكر الطلبات مقرونـــــة بـــالدعوة للصلاة على النبى.. حتى أننى كنت أشك بأنه هو الـــذى يطلـــق البخور "إذ أن لديه الفحم مشتعلاً.." وسمع فتح الله يذكر بأن من يدفن فى السماء ستظل رائحته عطرة..
ولم يسأل أحد.. كيف تتم عمليات الدفن فى السماء؟

وعم عبد العزيز إذا ما شبكت نظرتى بنظراته.. إرتبـــك قليلاً وإبتعد عن ترابيزتنا... منادياً على الطلبات!
"وعندك شاى على ميّه بيضا"
"وقهوه كوباية عثمانلى"

(٢٦)
مقام لسيدى كراكيبو

عم عبد العزيز.. جرسون مقهى البنور العجوز.. له سابق معرفة بأحد المشايخ الصوفيين-يدعى الشيخ فرغلى- رجل يؤمن بأن الإنسان إذا ما إندمج فى حب الذات الإلهية، تحول إلى نور فى نور.. وعبر البرزخ، وحدث له التحول من بشر طينى الأصل، إلى بشر نورانى كما الملائكة.

ويؤكد عم عبد العزيز أن الأخ كراكيبو صار ولىّ من أولياء الله الصالحين**وإذا ما تناول أحد سيرته يجد نفسه يلقى بالبخور الجاوى، وبعض حبات المسك على قطعة الفحم المشتعلة فى المبخرة..

وسمعت بأنه أشاع فى حى كرموز وغيط العنب، بأن من سيسارع ويأخذ العهد على يد خلفاء سيدنا كراكيبو، ستسكن فيهم روحه، ومواهبه، وقدراته الخارقة. والتى أحدثت المعجزات، وإنتصرت على مكتب مكافحة المخدرات.. ولما إنهزم مرة، إختفى، وصار قبره فى السماء وليس على الأرض..

واسألوا الأستاذ فتح الله المحامى.

قلت لعم عبد العزيز:

- حيلك حيلك يا عم عبد العزيز أنت تعشق القصص وأصحاب القصص.. لكن الأخ كراكيبو كان بارعاً فى الحكى.. والحكى يعنى أنه مقدمات التمثيل والمسرحة.. والتمثيليات التى ستكون غارقة فى الأكاذيب.. فلا تجعل أكاذيب كراكيبو تسيطر على الألباب!

عم عبد العزيز.. وضع الصينية التى عليها الفوارغ فوق ترابيزة مجاورة، وأخرج من جيب المريولة الأمامى ورقة،

سجل عليها أشياء.. قرأ فيها لنفسه بدون صوت ثم قال:
- شوفوا يا جماعة.. الشيخ كراكيبو جالى فى المنام وطلب منى أن أبنى له مقاما فى منتصف شارع النيل بكرموز.. وبالصدفة بيتى فى منتصف الشارع،وعندى أوضة فاضية سأفتحها على الشارع مقاما له.. وأحقق طلبه. وسأجعل أولادى الثلاثة خدماً على مقامه.. وحراسا على صندوق نزوره.. أصل أنا سأبيع التاكسى.. السواق يستفيد منه،وأنا أدفع ثمن التصليح!!

إعتبرنا ما يقوله عم عبد العزيز "تكتة" وضحكنا ثم كشرنا إذ وجدناه يأخذ ما قاله مأخذ الجد.. وقال:
- بإذن واحد أحد،سأبنى للشيخ كراكيبو مسجداً.. كما مسجد السيد البدوى فى طنطا.. الناس فى كرموز إنغمسوا فى الضلال وصاروا كالسمك.. الكبير يأكل الصغير. الشيخ كراكيبو جاء ليحمى السمك البسارية من الحيتان.. هو الذى أبلغنى بالخمس خمسات التى ستكون شعار أعلامه الخضراء.. سوف يتوسطها كف له خمسة أصابع طوال.. لقد مات على مشارف الخمسين، وتزوج الست طاما فى الخامس من الشهر الخامس من سنة ٨٥ وهجرها فى الخامس من الشهر الخامس من سنة٩٥.. اذ ضبطها تخنصر من أمواله، وتدخرها بعيداً عن بيته. ولما تصادم مع الشرطة.. كان ذلك فى الخامسة من صباح الخامس من الشهر الخامس. وهذه كلها علامات تجعل للكف الأصفر الذهبى على العلم الأخضر، معنى.. وسيكون الرمز الذى سيباع للرواد.. هو الخمسة وخميسة.. ضد عين الحسود ومن لا يصلى على النبى العدنان.

والأستاذ فتح الله -حزام الشلة- لم يعلق على مقترحات وأقوال عم عبد العزيز، كان يستمع مثلنا ويبتسم،فقد غمز لى بعينه على أساس أن عم عبد العزيز لإقترابه الشديد من الروائين والقصاصين صارت له حكاياته.. الجديرة بالإهتمام.

لكن ما لم يدركه الأخ فتح الله.. أن عبد العزيـــز كـــان يبلغنا بمجئ سيدنا كراكيبو له فى المنام. وقد أقام لــــه بـــالفعل المقام فى بيته، وأسند عمليـــة (المقاولـــة) والتنفيـــذ للمقـــاول المتصوف "الشيخ فرغلى" الذى يقيم كثيراً من حفلات الأذكار فى بيته، ويشجع ناس الحتة هناك لتقديم صوانى العقائق من لحـــم الخرفان.. ليأكل الذكيرة.. وما الذكير إلا جماعة يسرحون لبيـــع الفواكه التى يشتريها (المعلم فرغلـــى) خضـــراء حصـــرم مـــن غيطانها.. وقد رحب بمقام ومنام (عبد العزيـــز) وقـــام بتنفيـــذ المطلوب على أساس أن صندوق النذور سيكون مناصفـــة بيـــن الإثنين، لكن عم عبد العزيز إشترط أن يتم القسمة بعد دفع أجور أولاده الثلاثة الذين سيعملون خدماً للمقام.. وقد صار أصغرهـــم فى الثامنة والعشرين،والثلاثة يحملون دبلومات متوســـطة، ولا يعملون، بسبب تفشى البطالة الملعونة عقب تصفيـــة شـــركات القطاع العام وقطاع الأعمال.. وهروب عدد مـــن المســـتثمرين بالمليارات من الدولارات التى كـــانت تديـــر حركـــة البنـــوك.. والضمانة الوحيدة لعم عبد العزيز من غدر الشـــيخ فرغلـــى أن مقام الولى فى بيته، وهو صاحب الرؤية والمنام، وسوف يسجل ذلك فى كتاب تنشره له الست منال!!

ومع أن أخونا فتح الله حاول أن يحيلنى إلى ذكاء عـــم عبد العزيز الذى كان ولا يزال يحضر له العملاء -مقابل عمولة محددة- وكيف أنه أمام مشكلة البطالة التى طالت أولاده الثلاثة. وسيادة الفكر الغيبىقام بتأسيس مشروعه الإستثمارى.. وأنـــه يخشى أن يخسر الرجل فلوسه وينهار مشروعه.

تعجبت وتساءلت: لماذا ينهار المشروع والناس مازالت تقيم المقامات للمشعوزين والمعتوهين ويقدمون لهم النذور؟

أسر فتح الله إلى بالسر الرهيب..بأن الشيخ كراكيبـــو تلفن له، وأوصاه بأن يقف مع زوجته طاما.. ويرعـــى أحـــوال إبنتها نجاة.. التى تمر بمرحلة المراهقة والعُقد.. وإمتحان

الإعدادية.. سمعت همساتنا (علوية الحلوانى) وهى أرملة تكتب الشعر العامى.. فأكدت كلام الأخ فتح اللــه.. وحدثتنــا بحديـث هامس،وطلبت أن نعتبره من أسرارها.. إذ أنه يمـــس شـرفها وسمعتها!

"أبلغتنا أن كراكيبو قد عقد معها صداقة تحولت ســريعاً إلى علاقة عاطفية، وإنه دائماً كان يقول لها بأنه فـــى أشـد الحاجة لها. وقد فتحت له قلبها كأى أنثى لا يجب أن تغلق الباب فى وجه شخص يحتاج إليها..

وقالت (علوية) أن كراكيبو قبيل عملية التصــــادم مــع الشرطة بيومين، ترك عندها حافظة نقوده وأوراقه.. وبعـــد أن علمت بما حدث له.. كان طبيعياً أن تتعرف على ما فى حافظته. وجدت عدداً من كارنيهات الجمعيات الأدبية والنـــوادى الهــاى ونقود.. مــائتى دولار.. وســبعمائة جنيــه مصــرى وصــورة فوتغرافية لجمال عبد الناصر.."

ذهل فتح الله وقال: هل يعنـــى هــذا أن الأخ كراكيبــو ناصرى؟ كيف والناصريون يحترمون القــانون، وتــم القضــاء عليهم بدولة المؤسسات وسيادة القانون.. وكان بيدهم الجيـــش والبوليس ومع ذلك لم يفكروا فى إستخدام القوة مع خصومهم؟!

وذهل فتح الله أكثر، عندما قالت علوية الحلوانى إنهـــا فجر أمس صحيت على رنين التليفون الخلوى -قالت:

- آلو .. من؟

قال المتكلم على الطرف الآخر:

-أنا كمال يا علوية..

قالت: من؟

قال: أنا كراكيبو يا علوية لا تنزعجى

قالت: إنت فين يا كراكيبـــو..؟ عــاوز محفظتــك ..؟ فلوســك؟ أوراقك؟

لكن الخط قطع على كلمة لم تفهمها جيـــداً.. تشــبه المـــوس.. الموز.. كرموز.. موش عارفة!

فجأة قال فتح الله وهو يهب واقفاً..
-عم عبد العزيز.. هو الآن يملك المقام وصـــاحب المقـــام فـــى كرموز
أمسكت بذراع فتح الله وجعلته يجلس هادئاً.. قلت له فى أذنه:
- ليس هكذا نناقش مواضيع أصحاب المقامات!!!
وسألته فى حزم:
- هل تصدق هذا الهجص؟
اتسعت عيناه وهو يحملق فى وجهى، غمغم:
- أنت تجرأت كثيراً يا عبد الفتاح..

(٢٧)
ليس كل مختلف مؤتلف

..من المؤكد أن شخصاً خباصاً جداً.. هــو الــذى خبــص للسيدة طاما.. أرملة الشيخ كراكيبو -أقول أرملة- لأن الشــيخ كراكيبو لم يظهر جهاراً نهاراً لأحد.. وأقول عنه "شيخ" بســبب أن المقام الخاص به -قام- فى منتصف شارع النيل بكرمــوز، يديره أولاد عم عبد العزيز الجرسون.. والمقام صار يعمل بخطة دعائية مبتكرة، ويوزع ويلصق الإعلانات المنتظمة، التى بــدأت فى الإنتشار، بأن الشيخ كراكيبو "يفك السحر والأعمال البطالــة ويزيل النحس.. ويساعد على إلحاق الشباب والرجال والكهول - المتعطلين- بأعمال إستثمارية، وبأجور مرتفعة، لن تقل بحــال من الأحوال عن سبعمائة جنيه شهرياً.. ذلك فى العــام الأول، إذ سوف تزداد المرتبات من مائة إلى مائتى جنيه ســنوياً، بحكــم العلاوة الدورية الثابتة. كما أن الشــيخ كراكيبــو يفــك نحــس العوانس ويساعدهن على الزواج السريع بدون تلــك الســنوات المملة من سنوات الخطوبة والتى تنتهى عادة بــالفراق، وكــل شخص يذهب إلى حال سبيله لعدم وجود مسكن..

وأن العانس سوف تعثر على الزوج الذى يطلعهــا علــى عقــد الشقة التمليك فى أول لقاء.. "وقيل أن مــن زار مقــام ســيدى كراكيبو، وقدم له نذراً ولو يسيراً.. لن تمر خمس ليــالى حتــى يحقق له المراد من رب العباد.. فقط علــى الزائــر أن يخلــص النية، ويهمس بأمنيته فى الورقة النقدية..

وإذا ما كان مستعجلاً يهمس فى الورقة ذات الخمسة جنيهــات، أو العشرة جنيهات، طبقاً لحالة العجلة التى يطلبها مثل الأطباء،

هناك ثمن للكشف المستعجل.. ماذا فى ذلك؟

وقالوا أن السيدة طاما، أخذت موقفـا معارضـا، ضـد إستغلال إسم زوجها. ولكنها لم تحتج رسـميا،فطالمـا أن جثـة زوجها بعد حادث الصدام مع قوة مكافحة جلب المخدرات.. لـم يعثر لها على أثر.. فهى قلقة. مع أنه قد شاع بأن كراكيبو كلـم بعض معارفه من التليفونات المنصوبة على النواصى. والتـى لا يظهر لها رقماً عند الإستقبال.. وفتح الله نفسـه تلقـى إحـدى مكالماته. إعتبرها مداعبة من مداعبات الشباب، ولم يصدق بأن كراكيبو على وش الدنيا. فتح الله لا يريد أن يصدق..لأن السيدة طاما.. صارت على علاقة وطيدة به، وتطلبه، فيذهب إليها وإذا عاد من عندها.. يكون كمن عاد من زيارة "المبنى" الذى كـان يكتمه كتمة المدمس لعدة أيام.. أو لعدة أسابيع!

لكن كتمة عن كتمة تفرق..!

وأنا من عادتى لا أطلب من فتح الله –مع أنه صديقـى الحميم- إستفساراً.. ولا ألح عليه بأن يدلى بشئ عـن علاقتـه بالسيدة طاما.. لا يريد أن يبلغنى بها الآن.. وهو عـادة يحجـم قليلاً.. وإذا امتلأ.. إنفرد بى وأفرغ كل شئ عندى دفعة واحـدة، وتنهد، وإستراح

(قالوا للسيدة طاما.. أننى سر الأسـتاذ فتـح اللـه وصندوقـه المغلق.. بل ومحركه.. وما لا أوافق عليه.. حتى لو عاند قليـلاً سيرتد عنه سريعاً.. وأن الخطوات التى قطعها فتـح اللـه فـى علاقته معها.. ثم إرتداده السريع، كان بسبب نصائحى وتأثيرى عليه..)

فى الواقع لم أكن أعلم شيئاً عما حدث بين السيدة طاما وصاحبى فتح الله.. ولم أحط بنوع الخطوات التى قطعاها سوياً.. وهما مختلفان فى كل شىء.. ولعل ذلك الإختلاف هو الذى أحدث الإئتلاف.. فالسيدة طاما إمرأة إسكندرانية من أصل بحراوى

عربواى.. جرينة.. ولعلها شربت دماء الترسة أكوابـــا.. فقــد تفتق جسمها الأبيض باللحم والشحم.. ولكن لطولها لــم تظهــر مكورة.. بل صارت إمرأة مثيرة لمن هم قصار، وبشرتهم سمراء غامقة، وانشغل شبابهم بعيدا عن الرفقة بالجنس الآخر..
وطاما إذا ما لبست الملابس السوداء متصنعــة الحــداد. فهــى ملابس من حرير شفيف، ومحبوكـــة علـــى صدرهـــا العـــامر، وأفخاذها ومقعدتها العريضة التى تصــــير ملمومـــة بـــالتحزيق ومحبوكة حبكة ملابس الرقص الفاضح.. وكنت أعلم بأنهـــا لــم تنجب من كراكيبو –ولها بنت من زواج ســـابق– وأنهمـــا فـــى السنوات الأخيرة عاشا فى شبه إنفصال.. لكنها لم تطلق منــــه. وأن وقوع زوجها فى صدام مع الشرطة وإختفائه خفــف عنهـــا كثيراً. جعلها تشغل نفسها بالبحث عن ثروته التى فى إعتقادها أن كراكيبو بعثرها فى عدة أماكن.. وحفظها لـــدى الأصدقـــاء والمعارف.. لذا فقد ربطتُ بين علاقة السيدة طاما وصاحبى فتح الله.. ليس لجاذبية تهمها فى فتح الله،نستشعرها نحـــن بحكــم هوايتنا للأدب وإبداعاته الخلابة.. لكن لظنها أن زوجها قد حفظ شيئاً له قيمة عند فتح الله عبده فتح الله.
عندما طلبتْ الست طاما اللقاء بى.. كانت تركب سيارة تاكسى، والسائق يعرف الأماكن التى سيذهب بنـــا إليهـــا، مـــن المقهى إستدعتنى بواسطة ماسح الأحذية. وبمجرد أن جلســـت بجانبها فى التاكسى تحركت السيارة.. ذهبت بنا إلى شقة تواجه البحر فى الإبراهيمية.. الطابق السادس. كانت تضع على عينيها نظارة زرقاء كبيرة.. وكانت لاتزال ترتدى الملابـــس الســوداء الحريرية.. ولما دخلت الشقة إرتدت روب أزرق علـــى قميــص أحمر.. وجلست بجانبى على الكنبة الإستديو.. لم يطف بذهنـــى أى تصور جنسى.. وكانت بالشقة فتاة ممصوصة تلق فى ثـــوب واسع.. تعمل كخادمة.. قدمت لنا الطعام والفاكهة على ترابيزة..

كانت على مبعدة ثلاثة أمتار من الكنبة.. ترابيزة واطئة عريضة مثمنة مشغولة بالصدف.. تشبه سطح النصف فرنك القديم..

وقالت لى طاما وهى ترانى فى حيرة، يشوب تصرفـاتى بعض الإرتباك:

-إسمع يا عبدو.. أنا أعرف إنك مخزن أسرار صديقك فتح الله.. وفتح الله إبن حلال، وأنا بصراحة أحبه.. لكن بعد مـا مشـينا خطوتين.. وبدأنا ننسجم من بعضنا، فجأة كده قطع علاقته بـى، مع إنه كان شديد الإعجاب، وأنت عارف إنه بياع كلام.. لا تنظر إلىّ بتلك النظرة، أنا الذى طلبت أن يكون كل شـىء بـالحلال..

ولما وجدت فتح الله متردداً.. غير واثق من موت كمال.. نزلت إلى الزواج العرفى، إعتقد أنا عدانى العيب. وأنـا جسـمى زى مانت شايف يغرق فيه فتح الله.. وكأى ست أعرف أنه معجـب بى جداً.. هو باسنى مرتين.. يمكن ثلاثة.. بوس طيارى كدة مع حضن.. كأنه بيجرب يقدر يلف بذراعه حول جسمى أم لا.. أنـا من ناحيتى يعجبنى شكل فتح الله.. أسمر قوى ومسمسم.. كمـا أحمد زكى فى أول ظهوره. لما كان نحيف وله قتب.. بـص يـا عبده.. أنا قلتلك كل حاجة نفسى بقى أعرف.. ليه فتح الله قطع علاقته بى؟! وصار يتهرب من لقائى؟!

كان على لسانى أن أقول لها -فتح اللـه لـم يحدثنـى عنك- وكان على لسانى أن أقول -جائز بعد فتح الله ما سـمع علوية الحلوانى التى أكدت له بأن زوجك كراكيبو تلفن لها بعـد منتصف الليل،أخذ قرار الفرار.وفتح الله محكوم بأخلاقه.. إذا ما كنت أرملة،كان يمكن أن يواصل معك المشوار.. لكن بعـد مـا تشكك فى وجود زوجك على وش الدنيا.. من الجائز أنـه آثـر الإبتعاد فى الوقت الراهن- لم أقل شيئاً.. فقـط أطرقـت قليـلاً وتشاغلت بأنى أشرب كوب بيرة،وآكل شيئاً من الطبـق الـذى قامت وجهزته فوق الترابيزة البعيدة -لماذا يجعلون الترابـيزة بعيدة وليس بالقرب منها مقاعد.. آه.. إنها ترابيزة كالطبلية لمن

يجلسون على الشلت حولها.. أو ينامون.. وكنت أضحـك فـي وجهها لأخفى توترى وما يدور فى خلدى، تناولت مجلـة مـن كومة المجلات فى الركن.. رأيت أنها مزدحمة بصور السـيدات الجميلات.. فى الصفحات الأولى نصف عاريات.. وإذا ما توغلت بداخلها كن يتخففن من ملابسهن.. إرتفعت حرارتى، فـأخرجت مناديلى الورقية من جيب قميصى وتوقفت عند صـورة معينـة وأخذت أجفف جبهتى.. كانت صاحبتها تجلس على مقعد التسريحة الصغير.. وتنظر من فوق كتفها،لكن صدرها النافر ينعكس فـي المرآه.. مالت السيدة طاما بجسمها وألصقت صدرهـا بكتفـي ونظرت فى الصورة، وقالت بصوت ممطوط محجوز فى أنفها

-عجباااك؟

قلت: اللهم صلى على النبى..

قلت: دى روحية مغمطيس..

المجلة مكتوبة باللغة الإنجليزية.. إعتقدت أنها نوع من مجـلات البلاى بوى الأجنبية.. لم أظن أنها مجلة مصريـة.. والسـيدات اللاتى بها لهن أسماء عربية

عادت طاما تقول:

-إيه روحية عجبااااك؟

كان على لسانى أن أقول للست طاما..

-وإنت بقى شغلتك إيه؟

وخطر فى بالى السبب القوى الذى جعل فتح الله يهرب.. لكنـي آثرت أن أقول ببطء:

- آه عجبانى..

وتصورت فى اللحظة التاليـة أن السـت طامـا سـوف تقـوم بالتصفيق بيدها.. فتظهر أمامى روحية مغمطيـس عاريـة.. أو سننتقل إليها فى غمضة عين،كما كان يفعل عفريت مصباح علاء الدين،ولسان حالى يقول،

-بركاتك يا شيخ كراكيبو،ويا خيبتك يا أستاذ فتح الله .

الكاتب وإصداراته :

- **عبد الفتاح مرسي**

- ليسانس آداب (جامعة الإسكندرية) . دبلوم علم من كلية التربية (جامعة الإسكندرية)
- عضو عامل باتحاد كتاب مصر .
- عضو نادي القصة بالقاهرة .
- يقيم بالإسكندرية – ت : ٥٤٨٨١٥٢ – سيدي بشر .

كتب صدرت للمؤلف :

- ١ – رواية [على حافة النهار] الثقافة الجديدة ١٩٩٣م
- ٢ – رواية [الدحديرة] على نفقة المؤلف ١٩٩٤م
- ٣ – رواية [المحسوس والملموس] المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٥م
- ٤ – رواية [المقطوع والموصول] كتاب فاروس ١٩٩٦م
- ٥ – مجموعة قصص [شهوة الموقف المتحرك] دار الوفاء لدنيا الطباعة ١٩٩٧م
- ٦ – دراسة [الفن في موكب الوعي] دار الوفاء لدنيا الطباعة ١٩٩٨م
- ٧ – رواية [المسخوط من سيرة علي بلوط] دار الوفاء لدنيا الطباعة ١٩٩٨م
- ٨ – رواية [الليل وجبروته] دار الوفاء لدنيا الطباعة ١٩٩٩م
- ٩ – رواية [الإبحار في الرمل] دار الوفاء لدنيا الطباعة ٢٠٠٠م

- ١٠- ● قصص [قبلات محطات السفر] الفنون والآداب ٢٠٠٠م
- ١١- ● رواية [أكثر من عمر] الكتاب الفضي ٢٠٠٢م
- ١٢- ● قصص [أقنعة الصفاقة المدهشة] دفقات للنشر ٢٠٠٣م
- ١٣- ● رواية [تلطيمة ابن خليل] دفقات للنشر ٢٠٠٣م
- ١٤- ● قصص [العكاكيز] دفقات للنشر ٢٠٠٣م
- ١٥- ● رواية [انعطاف النهر] هيئة الكتاب مع اتحاد الكتاب ٢٠٠٥م
- ١٦- ● رواية/ عبد الله والمدينة. دفقات للنشر ٢٠٠٥م

الجوائز :

- المبدالية الذهبية وشهادة تقدير من وزارة التربية والتعليم – الإقليم الجنوبي – كتاب عيد العلم – عام ١٩٦١م
- المركز الأول – ميدالية ذهبية وشهادة تقدير – ماراثون القصة – إبداعات القادة – جهاز الشباب والرياضة ١٩٩٦م
- المركز الثاني في الرواية – بنادي القصة بالقاهرة لعام ٢٠٠٠م عن رواية " نغدا تأكل التفاح "– شهادة تقدير وجائزة مالية .
- المركز الثاني في القصة القصيرة عام ٢٠٠١م عن قصة "صرصار جاف يتحرك" نادي القصة بالقاهرة – جائزة مالية وشهادة تقدير .
- المركز الأول في الرواية من نادي القصة بالقاهرة عن رواية " أكثر من عمر " طبعت الرواية بسلسلة الكتاب الفضي.
- شهادة تقدير عن مجموعة قصص " العكاكيز " – المجلس الأعلى للثقافة – عام ٢٠٠٣م

كتب صدرت عن نغمات للنشر

١- المكاكيز	قصص
٢- تلطيمة بن خليل	رواية
٣- أقنعة الصفاقة المدهشة	قصص
٤- صحراء الذهب	قصص
٥- عبد الله والمدينة	رواية